

مؤتمر السقيفة

وبيعة أبي بكر رضي الله عنه

دراسة نقدية

أ. د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف

أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة الأزهر

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة


منتدى سور الأزبكية



مُؤْتَمَرُ السَّقِيفَةِ

وَبَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه

دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ

تأليف

أ. د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد .

مؤتمر السقيفة وبيعة أبي بكر ﷺ : دراسة نقدية / تأليف عبد الشافي محمد عبد اللطيف . - ط١ . - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٧ م .

٢٠٨ ص ؛ ٢٠سم .

تدمك ٦ ٥٩١ ٣٤٢ ٩٧٧

١ - التاريخ الإسلامي .

٢ - الخلفاء الراشدون

أ - العنوان .

٩٥٣

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجا لعقد ثلث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن الحديث عن مؤتمر السقيفة تكتنفه صعوبات كثيرة ؛ ذلك لأنه أخطر مؤتمر عالج فيه المسلمون المشكلة الأولى التي واجهتهم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وكان على مقدار نجاحهم في حسم الموضوع الذي بحثوه في السقيفة ، وهو موضوع الخلافة ، يتوقف نجاحهم في مستقبل حياتهم وفي بناء دولتهم . ناقش المجتمعون في السقيفة ، أمر الخلافة بعد النبي ﷺ : لمن تكون ؟ أللمهاجرين باعتبارهم أهل النبي ﷺ وعشيرته وأول الناس إسلامًا ، فهم أحق الناس بها أو للأنصار باعتبارهم أهل النصرة والإيواء والنضال الطويل في سبيل الدعوة الإسلامية ؟ .

لقد عُرضت وجهتا نظر الأنصار والمهاجرين على بساط البحث الهادئ الوقور ، وتبودلت الآراء في جو يليق بأصحاب محمد ﷺ ، وأخيرًا استقر رأيهم على تولية الصديق ﷺ ؛ ليكون أول خليفة بعد النبي ﷺ ، وكان ذلك توفيقًا من الله ، فما أظن المسلمين وقفوا بعد

نبيهم ﷺ في الوصول إلى قرار هو أفضل وأحكم من قرار تولية الصديق ، كما سنعرف ذلك بالتفصيل .

أما الصعوبات التي تكتنف الحديث عن مؤتمر السقيفة فأهمها ما يلي :

أولًا : كثرة المصادر والمراجع والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع ، ولعله قد يكون غريبًا أن يشكو باحث في أي بحث من كثرة المصادر التي يستقي منها مادة بحثه ، فالعادة أن يشكو الباحث من قلة المصادر وندرتها ، لا من كثرتها ، ولكني أعترف أنني واجهت عددًا من المصادر والمراجع والمؤلفات تناولت هذا الموضوع ليس في استطاعة أي إنسان أن يطلع عليها جميعها فيما أظن ، وهذا سيؤدي إلى قصور في البحث ناتج عن عدم استقراء كل ما كتب حول هذا الموضوع ، وهذه حقيقة أعترف بها وأسجلها على نفسي .

ثانيًا : من أصعب الصعوبات في هذا الموضوع ، التوفيق بين الروايات التي روت أحداث هذا المؤتمر ، والخطب التي ألقيت فيه ، ومواقف بعض الصحابة الأجلاء وما أثير حولها من شبهات من شأنها - لو صحت - أن تحط من شأنهم وتنال من قدرهم .

فبينما رواية تذكر أن الأنصار ﷺ اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لظنهم أنهم أحق الناس بالخلافة ، ثم علم المهاجرون

بذلك فأسرعوا إليهم ولم يكد أبو بكر ﷺ يوضح لهم الحقيقة وهي أن المهاجرين أحق بالخلافة حتى أدركوا خطأهم واقتنعوا بكلام الصديق ﷺ وأسرعوا إلى بيعته دون ملاحاة أو منابزة كما يليق بمثلهم وينتظر منهم - إذ برواية أخرى تصور الموقف تصويرًا آخر يفهم منه أن القوم كانوا متكالبين على الدنيا حريصين عليها ، قد ملك عليهم حب السلطان والرياسة كل مشاعرهم كأنهم نسوا أنهم أصحاب محمد ﷺ ، الذي صدى صوته الكريم يرن في آذانهم ، وجسده الطاهر لم يدفن بعد .

وهكذا نجد أنفسنا أمام حشد هائل من الروايات المتناقضة التي يبدو لنا أن تناقضها وتضاربها نشأ عن عدة أسباب ، منها :

١ - أن تدوين هذه الأحداث وقع في زمن متأخر جدًّا عن زمن وقوعها ؛ لأن عهد التدوين لم يبدأ إلا في العصر العباسي - فعمل الزمن عمله في هذه الروايات من زيادة ونقصان وتغيير وتبديل وتحريف ، مما شوَّه بعض الحقائق التاريخية وجعل تحقيقها وإثباتها من الصعوبة بمكان .

٢ - أن المؤرخين الذين دوَّنوا هذه الأحداث ، قبلوا الروايات التي وصلت إليهم على علاتها دون نقد أو تحليل أو تمحيص ولم يبحثوا هل هذه الرواية أو تلك توافق العقل والمنطق ؟ وهل تنسجم مع جوهر الإسلام وسمو مبادئه

وتتفق مع أقدار الرجال الذين أعز اللَّه بهم الإسلام واختارهم أنصارًا وأصحابًا لدينه ونبيه ، فكانوا يكتبون كل ما يصل إلى سمعهم كما هو دون إعمال فكرهم فيه .

٣ - أنه عندما بدأ عهد تدوين الحوادث التاريخية كان قد نشأ ونما عدد كبير من الفرق الدينية والمذاهب السياسية ، وأصبح لكل فرقة مذهبها وفلسفتها ومدرستها ورجالها ، وكانت كل فرقة تروي من الأحاديث ما يؤيد وجهة نظرها ويدعم دعواها ، ولو أداها ذلك إلى وضع الأحاديث واختلاق الروايات المكذوبة ، فالشيعة مثلًا يروون أحاديث في النص على الخلافة لعلي بن أبي طالب ﷺ ، لا يعترف بها أهل السنة ، ولا يرويها أئمة الحديث الموثوق بهم ، وهكذا في كل حادثة ، للشيعة وجهة نظر ولأهل السنة وجهة نظر ، وقد تكون للخوارج وجهة نظر ترفض وجهتي نظر الشيعة وأهل السنة جميعًا ، وكل يروي أدلة تناقض وتبطل أدلة الفريق الآخر ؛ مما جعلنا أمام طوفان من الروايات المتناقضة ، الأمر الذي جعل مهمة الباحث في حوادث التاريخ الإسلامي وقضاياه أعقد وأعسر .

٤ - في عصر التدوين نشطت الشعوبية الحانقة على الإسلام والمسلمين في بث الأخبار الكاذبة ، وتلفيق الروايات الشاذة ، وحبك الأخبار الزائفة ؛ بقصد الحط من شأن الإسلام والمسلمين ، وهدم البطولات العربية ، والنيل من

الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي .

كما أن كثيرًا ممن أسلموا من اليهود والنصارى وغيرهم لم يسلموا عن إخلاص للإسلام ، بل أسلموا بألسنتهم وكانت قلوبهم تنطوي على أحقاد وضغائن ضد الإسلام نفثتها أقلامهم على هيئة إسرائيليات وغيرها ؛ لأنهم لما عجزوا عن طعن الإسلام بالسيف أرادوا أن يطعنوه بالقلم واللسان ، ومن سوء الحظ أنهم نجحوا في خطتهم إلى حد بعيد ، وتسربت أخبارهم الملفَّقة إلى كتب التاريخ والتفسير والحديث ونفثت سمومها في التراث الإسلامي كله ، وهذا ما يستدعي توفر المخلصين من الباحثين في التاريخ الإسلامي لمحو هذه الأباطيل وإزالتها من التراث الإسلامي ، ولعمري إنها لمهمة صعبة ، ولكنها عظيمة النتيجة .

ولقد قسمت هذا البحث إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن مرض الرسول ﷺ ووفاته ، وناقشت عدة حوادث حدثت إبان مرضه ﷺ ، كان لها علاقة بموضوع الخلافة الذي اجتمع مؤتمر السقيفة من أجله ، وذلك مثل بعثة أسامة بن زيد ﷺ وما قيل عنه من جانب المنافقين ، وما قيل عن تمرد بعض الصحابة عليه والامتناع عن الخروج معه ، وعصوا بذلك أمر النبي ﷺ ، وما زعمه أناس من أن بعثة أسامة كانت تدبيرًا من النبي ﷺ لإخلاء المدينة من كبار الصحابة الطامعين في الخلافة ليخلو

الجوُّ لعلي بن أبي طالب ليلي الخلافة بعد وفاة النبي الذي علم أنه سيتوفَّى .

ثم ناقشت موضوع الكتاب الذي كان النبي طلب أن يكتبه لأصحابه ؛ لئلا يضلوا بعده أبدًا ، وناقشت ما زعمه أناس من أن الكتاب كان بقصد النص على خلافة علي ﷺ ، وأن عمر ﷺ منع من ذلك ؛ لأنه بطل المعارضة ضد خلافة علي ﷺ في نظر هؤلاء .

ثم تحدثت عن الأثر المفزع الذي أحدثته وفاة الرسول ﷺ بين أصحابه لدرجة أن وقع المصيبة أذهلهم فلم يصدقوا بموت النبي ﷺ إلى الحد الذي جعل عمر نفسه ينكر وفاة النبي ، ويتوعد من يقول إن النبي ﷺ قد مات . ثم ناقشت الشبهات التي أثارها بعض المتعصبين ممن أعماهم الهوى عن موقف عمر ﷺ عند موت النبي ﷺ .

الفصل الثاني : وعنوانه : « المناقشات التي دارت في سقيفة بني ساعدة » :

وفيه تحدثت عن موقف القرآن الكريم وموقف الرسول ﷺ من أمر الخلافة ، وبينت أنه لم يرد نص في الكتاب الكريم يحدِّد شخص الخليفة ولا طريقة تعيينه ، وبيَّنت كذلك أنه لم يرد عن الرسول ﷺ نص صريح بهذا المعنى .

ثم تكلمت عن الحكمة من عدم النص على الخلافة وبيَّنت أنها كانت حكمة تشريعية مقصودة .

ثم بسطت القول في حديث الوصية وأوردت من النصوص الصريحة ، التي وردت في البخاري وغيره من كتب الحديث ، والتي تبطل حديث الوصية وتكذبه . كذلك ناقشت حديث « الأئمة من قريش » وبيَّنت وجهات النظر المتعددة في شأن هذا الحديث ، وبسطت وجهة نظر ابن خلدون ، وملخصها أن حديث « الأئمة من قريش » لم يكن المقصود منه حصر الخلافة في قريش لأنهم قريش فقط ؛ ولكن كان ذلك لضرورة اجتماعية وهي وجود العصبية اللازمة لحمل الناس على الطاعة في قريش .

ثم تحدثت بعد ذلك عما دار بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة ، وبيَّنت وجهة نظر كل فريق ، والحجج التي ساقها لتأييدها ، وبيَّنت أن القوم لم يكونوا متكالبين على حب الدنيا والسلطان ، كما صوَّر ذلك بعض المؤرخين ، وإنما كان الجو الذي يحيط بهم هو جو الود والصفاء والوفاء والإخلاص الذي عاشوا فيه سنين طويلة في صحبة إمامهم ورسولهم ﷺ ، ثم ختمت هذا الفصل برأي شخصي استخلصته من سياق الروايات ، ومن جو المؤتمر نفسه وما دار فيه وما انتهى إليه من نتائج ، وذلك هو أن الأنصار لم يكن اجتماعهم - عقب وفاة الرسول ﷺ - في سقيفة بني ساعدة بقصد البيعة لسعد بن عبادة ، وإنما كان اجتماعهم للتشاور فقط وتبادل الرأي للانتهاء إلى خطة موحدة يواجهون بها

المهاجرين عندما يجتمعون معهم في المسجد بعد الفراغ من دفن النبي ﷺ ، وأوردت عدة أدلة رأيتها - من وجهة نظري - تؤيد الرأي الذي رأيته .

الفصل الثالث : وعنوانه : « كيف بويع أبو بكر رضي الله عنه ؟ » :

وفي هذا الفصل تحدثت عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه البيعة الخاصة في سقيفة بني ساعدة ، ثم بيعته البيعة العامة في مسجد الرسول ﷺ في اليوم التالي ، وبيَّنت أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت بإجماع من أهل الحل والعقد وكانت نتيجة انتخاب مباشر منهم .

ثم تحدثت عما زعمه بعض المستشرقين وما سوَّله لهم خيالهم من أن أبا بكر وصل إلى الخلافة بناءً على اتفاق سابق وتخطيط محكم بينه وبين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم ، وناقشت هذه الفرية وبيَّنت فسادها .

ثم تحدثت عن موقف عائشة رضي الله عنها من أمر النبي ﷺ لأبيها أن يؤم المسلمين في الصلاة أثناء مرضه ، وناقشت الشبهة التي أثارها بعض المتعصبين حول السيدة عائشة رضي الله عنها وما زعمه ذلك البعض من أن أمر النبي لأبي بكر بأن يصلي بالناس كان من تدبيرها وبينت بُعْد هذا القول عن الحق والواقع بأدلة قاطعة .

الفصل الرابع : وعنوانه : « المتخلفون عن البيعة » :

في هذا الفصل تحدثت عن موقف المتخلفين عن البيعة

في رأي بعض المؤرخين وفصلت القول في موقف سعد بن عبادة ، وعلي بن أبي طالب بالذات ؛ لأن سعدًا هو مرشح الأنصار ، وعلي بن أبي طالب كان ابن عم الرسول وزوج ابنته الطاهرة رضي الله عنها ، وأشهر من دارت حوله القصص وحول أحقيته في الخلافة ، فإذا أثبتنا أن سعدًا وعليًا رضي الله عنهما بايعا أبا بكر ولم يتخلفا عنه فلا حاجة بنا - إذن - للحديث عن غيرهما ، خصوصًا وأن من تخلف غيرهما - في رواية بعض المؤرخين - كان تخلفه تبعًا لتخلف علي رضي الله عنه .

الفصل الخامس والأخير : وعنوانه : « البراهين العملية على جدارة أبي بكر بالخلافة » :

وفيه تحدثت عن ماضي أبي بكر رضي الله عنه في المجتمع العربي قبل الإسلام وعن مركزه بين قومه ، وتحدثت عن أخلاقه وسلوكه وصداقته للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبُعده عما كان يقارف شباب مكة من اللهو واللعب والعكوف على الشهوات والملذات . ثم تحدثت عن إسلام أبي بكر ، وأثبت أنه كان أول الناس إسلامًا ، وأوجزت الكلام عن بعض مواقف أبي بكر الرائعة في الإسلام وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كموقفه من حديث الإسراء ، وموقفه من الهجرة . ثم تحدثت عن قوة إيمانه وثباته عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتحدثت عن أبي بكر الخليفة ، وكيف واجه المشاكل الخطيرة التي صادفته منذ أول يوم تولَّى فيه الخلافة ؟ كإنفاذ

جيش أسامة ، ومواجهة مانعي الزكاة والمرتدين ، وكيف أن أبا بكر كان الرجل الوحيد القادر على الخروج بالإسلام من هذه المحن القاسية ، وعلى قيادة المسلمين من نصر إلى نصر ، وكيف أسس أبو بكر الدولة وعبَّد الطريق لمن بعده يفتح ويوسع فكانت إمبراطورية إسلامية ، وكان أبو بكر ﷺ صاحب اليد الطولى في تأسيسها بعد رسول الله ﷺ .

وبعد ، فإن كنت قد وفِّقت وقاربت الحق والصواب فذلك بفضل الله تعالى ومعونته ، وبفضل توجيهات أستاذي الفاضل الدكتور / إبراهيم شعوط ، وإن كان هناك بعض القصور فمعذرة لضيق الوقت ، والكمال لله وحده .

* * *

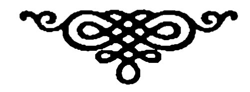


وبيعة أبي بكر رضي الله عنه

دراسة نقدية



مرض الرسول ﷺ ووفاته



تمهيد

لعل كثيرًا من الصحابة ممن توفر لديهم الإحساس المرهف والشعور الفيّاض - كان يدرك أن الرسول ﷺ سيتوفى في العام الذي توفي فيه - أي بعد حجة الوداع - ولعل تسمية الحجة بحجة الوداع تحمل تلميحًا بأن الرسول ﷺ قد ودع أمته بعد أن أدى أمانة اللّٰه كاملة وبلّغ رسالته تامة موفورة كأفضل ما يكون الأداء .

ولعل الرسول ﷺ قد ألمح إلى أنه قد حان موعد لقائه بالرفيق الأعلى حينما قال في خطبة تلك الحجة : « **أيها الناس اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت** » (١) ... إلخ .

ولقد جاءت الآية الختامية للقرآن الكريم وهي قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] كدليل آخر على أن الدين قد كمل ، وأن النعمة قد تمت ، ولم يبق شيء يستدعي نزول الوحي أو بقاء الرسول على قيد الحياة .

---

(١) الطبري (٣/١٥٠) .

والدليل على أن بعض الصحابة كان يحس - في هذا الجو وفي ضوء هذه الشواهد - أن الرسول ﷺ سينتقل إلى الرفيق الأعلى : ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : خطب رسول الله ﷺ الناس ، وقال : « **إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عند الله ؛ فاختار ذلك العبد ما عند الله** » . فبكى أبو بكر ثم قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله . قال : فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد يخير ، فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر ، أعلمنا به ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلًا ، غير ربي لاتخذ أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر** » [1] .

ومع أن الرسول ﷺ بشر ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وهو بهذه الصفة تجري عليه سنن البشر ونواميس الحياة من أكل وشرب ونوم ومرض وموت ولا غرابة في هذا فتلك سنة الحياة والأحياء ، ومع أن المسلمين جميعًا يعلمون هذه الحقيقة ، والقرآن الكريم يقرع أسماعهم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] مع هذا كله إلا أن موت الرسول ﷺ قد نزل عليهم كالصاعقة المروعة التي هزَّت أعماقهم وزلزلت كيانهم ، وجعلتهم كالغنم المطيرة

(١) البخاري (٤/١٧٦ ، ١٧٧) .

في ليلة شاتية وقد غاب عنها راعيها كما روي عن عائشة رضي الله عنها ، وكان وقع المصيبة من الشدة بحيث أذهل أعقلهم ، وأفقدهم السيطرة على أعصابهم إلى الحد الذي رأينا فيه عمر بن الخطاب - وهو من هو - لا يستطيع أن يصمد أمام وقع المصيبة فيقف متوعدًا من يقول إن الرسول قد مات ليضربن عنقه بالسيف ، وكان هذا موقف كثير من الصحابة ، ولم يبق إلا رجل واحد احتفظ بثباته ورباطة جأشه وهو الصديق رضي الله عنه ؛ حيث وقف بينهم خطيبًا يصحح خطأهم ويثبت لهم أن الرسول قد مات حقًّا ، وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وقال : « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت » ، فأفاقوا من دهشتهم وآمنوا أن الرسول ﷺ قد مات ، وجعلوا يرددون الآية التي تلاها أبو بكر ويقولون كأننا لم نسمع بها من قبل .

وعلى كل حال فالقوم لهم عذرهم ؛ فالمصيبة فادحة ، والخطب جلل ، والرزء كبير ؛ فلقد فقدوا الرحمة الإنسانية ، والأخلاق الإلهية ، فقدوا نبيهم العظيم وأباهم الكريم ، فأعظم بيوم فقده يومًا ، وأعظم به من فقيد .

ومع أن موضوع البحث هو مؤتمر السقيفة إلا أنه من

الضروري عقد هذا الفصل للتحدث عن مرض الرسول ﷺ ووفاته ؛ لأن المؤتمر نفسه ما كان لينعقد كلية لولا وفاة الرسول ، فلما تيقنوا من وفاته ﷺ شعروا بخلو مكان القيادة ورأوا أنه لابد لهم من شخص يتفقون عليه ليخلف النبي في قيادتهم ، ومن ثم اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليروا رأيهم في هذا الموضوع ، ولحق بهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وأسفر الاجتماع عن اختيار أبي بكر ﷺ مما سنفصله قريبًا إن شاء اللّٰه .

ومن ناحية أخرى فإن هناك وقائع وحوادث حدثت إبان مرض الرسول ﷺ وحين وفاته تتعلق بموضوع الخلافة الذي اجتمع المؤتمر من أجله ، رأيت من اللازم أن أناقشها لمعرفة وجه الحقيقة فيها ؛ لأن أناسًا قلبوا الحقائق رأسًا على عقب ، لا ندري أعن سوء فهم لطبيعة الأمور أم عن فهم ولكن كيدًا للإسلام والمسلمين ، وتحطيمًا لمعنويات الأمة الإسلامية .

فتكلموا عن بعثة أسامة ونسبوا أشياء بشأنها للرسول ﷺ ، لا يصدقها عاقل ، وتكلموا عن الرواية القائلة بأن الرسول قال : « **ائتوني أكتب لكم كتابًا لا تضلون بعده أبدًا** » ، ونسبوا إلى عمر بن الخطاب ﷺ أشياء بمناسبة هذا الحديث لا يمكن أن تصدر عن مثل عمر .

وتكلموا عن موقف عمر حين وفاة الرسول ﷺ حينما قال : « ما مات رسول اللّٰه » وليت المتكلم كان غريبًا عن

الإسلام ، فلو طالعتنا كتب المستشرقين بهذه الأراجيف وتلك الشبهات لما كان في الأمر غرابة ؛ لأننا حينئذ نستطيع أن نجد تعليلًا ، فنقول : إن المستشرقين قوم غرباء عن هذا الدين ، فهم لم يعرفوا حقيقة رجاله ولا طبيعة المدرسة التي تربوا فيها وتتلمذوا على معلمها ﷺ ، ونستطيع أن نقول : إن المستشرقين أو بعضهم لا همَّ لهم إلا الكيد للإسلام وأهله ، وهدم كل بطولة إسلامية تعصبًا ضد الإسلام .

نستطيع أن نقول هذا وأكثر من هذا حين نجد هجومًا من المستشرقين على عقيدتنا وتاريخ أمتنا ، ولكن ماذا نصنع حينما يكون المهاجم مسلمًا أو يدعي الإسلام ؟ فمما لا شك فيه أن موقفنا سيكون معه أشق وأصعب .

وخلال بحثي بين مراجع هذا البحث وقع في يدي بطريق الصدفة كتيِّب اسمه « السقيفة » لمؤلفه محمد رضا المظفر ولقد استوقفني هذا الكتيِّب ، وشعرت بأنني قد عثرت على مرجع مهم من مراجع بحثي .

ولكنني حينما قرأته أصبت بخيبة أمل كبيرة – فقبل قراءته لم أتصور أن هناك مسلمًا يجرؤ على كتابة هذا الكلام عن صحابة رسول الله ﷺ – الذين قال الله فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، وقال : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، وقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

لم أكن أتصور أن مسلمًا يردد افتراءات المستشرقين وأعداء الإسلام فينسب إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما التآمر والوصولية والتضحية بالدين والأخلاق في سبيل الوصول إلى أغراض دنيوية .

ولقد رأيت من الواجب عليَّ - وأنا بصدد كتابة بحث موضوعي ينشد الحقيقة مجردة عن العواطف - أن يكون ردي على تلك الافتراءات بالمنطق والأدلة العلمية ، رغم ما في الكتيّب من تجريح وتطاول على أفضل المسلمين بعد نبيهم .

* * *

مرض الرسول عليه الصلاة والسلام

تواترت الأخبار على أن مرض الرسول ﷺ بدأ بعد عودته من حجة الوداع ، ولكن الروايات تختلف في تحديد زمن معين لهذا البدء .

فبينما تذكر رواية أن بدء مرضه ﷺ كان في شهر المحرم كما جاء في تاريخ الطبري ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سيف ، قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، قال : اشتكى رسول اللّه ﷺ وجعه الذي توفاه اللّه به في عقيب المحرم (١) ؛ إذ برواية يرويها الطبري - أيضًا - أن المرض بدأ في شهر صفر ، فيقول : وقال الواقدي : « بدئ رسول اللّه ﷺ وجعه لليلتين بقيتا من صفر » (٢) .

ورغم أن الوسائل لا تساعدنا على ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى إلا أنه يمكن التوفيق بينهما بأن ابتداء المرض كان في أواخر المحرم وابتداء شدته كان في أواخر صفر ، ونفس الاختلاف موجود في تحديد تاريخ اليوم الذي توفي فيه ﷺ ، فيكاد الإجماع ينعقد على أن وفاته ﷺ كانت في يوم الاثنين ، ولكن الاختلاف جاء من أن رواية تذكر أنه توفي ﷺ يوم الاثنين لليلتين مضتا من ربيع الأول

(١ ، ٢) الطبري (٣/١٨٥) .

في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، ورواية تذكر أنه توفي ﷺ في يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من ربيع الأول . ولا يخفى أن بين الروايتين اختلافًا كبيرًا ؛ لأنه إذا كان يوم الاثنين الأول من ربيع الأول يوافق الثاني منه فلا يعقل أن يكون الاثنين التالي له موافقًا للثاني عشر منه ؛ لأنه إن كان أول يوم اثنين من ربيع الأول يوافق الثاني منه حسب الرواية الأولى فيكون يوم الاثنين التالي له موافقًا التاسع لا الثاني عشر منه ، وهذا ما رواه الطبري بهذا الشأن ، فيقول : « قال أبو جعفر : أما اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار في أنه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأول غير أنه اختلف في أي الأثانين كان موته ﷺ فقال بعضهم في ذلك ما حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا الصقعب بن زهير عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قبض رسول الله ﷺ نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين في اليوم الذي قبض فيه النبي ﷺ ، وقال الواقدي : توفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول » [1] ، والاختلاف بين هاتين الروايتين ظاهر .

ويبدو أن الإمام الحافظ ابن كثير لاحظ الاختلاف في

---

(١) الطبري (٣/٢٠٠) .

تحديد اليوم الذي توفي فيه الرسول ﷺ ، فأورد رواية عن أبي القاسم السهيلي عالجت هذا الاختلاف وحاولت تحديد اليوم الذي توفي فيه ﷺ بيوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، فيقول : « قال أبو القاسم السهيلي - في الروض - ما مضمونه : لا يتصور وفاته ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ؛ لأنه ﷺ وقف في حجة الوادع سنة عشر يوم الجمعة ، فكان أول ذي الحجة الخميس فعلى تقدير أن تحتسب الشهور بعده تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، وقد اشتهر هذا الإيراد على هذا القول . وقد حاول جماعة الجواب عنه ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد وهو اختلاف الطالع بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجة ليلة الخميس ، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة ، ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها : خرج رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة - يعني من المدينة - إلى حجة الوداع . ويتعين بما ذكرناه أنه خرج يوم السبت وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس ؛ لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك ، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة ؛ لأن أنسًا قال : صلَّى رسول اللَّه ﷺ الظهر بالمدينة أربعًا والعصر بذي الحليفة ركعتين فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين ، فعلى هذا

إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة ، وإذا كان أول ذي الحجة عند أهل المدينة الجمعة وحسب الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس فيكون ثاني عشره يوم الاثنين ، والله أعلم » (١) .

ويظهر أن النتيجة التي انتهى إليها السهيلي بتحديد يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول نتيجة معقولة ، خصوصًا إذا لاحظنا تضافر الروايات على تحديد ذلك اليوم بيوم الاثنين .

وعلى أي حال كان ما قضى الله ونفذت إرادته ، وزرئت الأمة بفقد رسولها وقائدها ومعلمها العظيم ، وأصبح مكان القيادة في الأمة شاغرًا يتطلب من أصحاب محمد ﷺ أن يتصرفوا بسرعة وبحسن تقدير للأمور ، وأن يضعوا أمام أعينهم تعاليم النبي ﷺ وطريقته معهم في التصرف في الأمور ذات الشأن الخطير ، فهل استطاع الصحابة أن يخرجوا من الأزمة التي واجهتهم بعد أن تركهم نبيهم واختار الرفيق الأعلى ؟ ذلك ما سوف نعالجه في هذا البحث بإذن الله تعالى . ونستمد منه العون .

* * *

(١) البداية والنهاية (٥/٢٥٦) .

بعث أسامة

كان النبي ﷺ يدرك تمام الإدراك أنه ما بقيت قريش على وثنيتها وما بقيت مكة بعيدة عن حوزة الإسلام - فلا يمكن أن يستتب للمسلمين أمر ؛ لأن قريشًا لا تفتأ تحرض القبائل ضد النبي ﷺ وأصحابه ، وكانت قريش ذات تأثير كبير ونفوذ عريض في شبه الجزيرة العربية ، فالناس لها تبع يولون وجوههم حيث ولت وجهها .

وكان صلح الحديبية - الذي انعقد بين النبي ﷺ وقريش وحلفائها حينما صدته عن زيارة البيت الحرام - بمثابة إعطاء الفرصة لقريش لتراجع نفسها وتعود إلى صوابها وتؤمن بالله ورسوله ، وتنضم إلى موكب الدعوة الظافر فتسعد بالإسلام وتكون له قوة إذا انطلق لتبليغ دعوته خارج الجزيرة العربية . وانتظر النبي ﷺ أن تجيئه قريش طائعة مختارة معلنة إسلامها ، ولكنها جاءته ناقضة العهد الذي بينها وبينه فماذا عساه أن يفعل ؟ لا بد من مواجهة الموقف بقوة وحزم ، فجرد النبي ﷺ جيشه ليلقن قريشًا وغيرها درسًا فما كان لعهد محمد ﷺ أن ينقض وينجو ناقضه من العقاب .

وفتح النبي مكة في السنة الثامنة من الهجرة ودخلت قريش في دين الله وتبعها الناس . ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١ - ٣] .

ولذلك « يعتبر فتح مكة في العام الثامن الهجري هو الدافع القوي الذي دفع القبائل العربية في كل أنحاء الجزيرة العربية إلى الدخول في الإسلام ، فتتابعت الوفود منذ هذا الحادث لتعلن إسلامها ، ثم ترجع من لدن رسول اللّٰه ومعها من يفقهها في الدين الجديد » (١) .

ولقد اطمأن النبي بعد فتح مكة ودخول قريش في الإسلام إلى أن شبه الجزيرة العربية كلها قد دانت للإسلام أو كادت ، وأن ما قد يحدث فيها من حركات يقوم بها بعض مدعي النبوة والمرتدين كل ذلك لن يصعب القضاء عليه ما دامت قريش قد أسلمت ، وأخذ النبي ﷺ يرسم الخطوط العريضة لسياسة المسلمين التي سوف يسيرون عليها في مستقبل أيامهم ، ويعيّن لهم الجهات التي يمكن أن يجيء منها الخطر على عقيدتهم وسلامتهم ، فوجّه بعد عودته ﷺ من حجة الوداع جيشًا إلى تخوم البلقاء والداروم من أرض الشام وأمر عليه أسامة بن زيد ، وكان الغرض من هذه الحملة تأديب القبائل الضاربة في شمال شبه الجزيرة العربية والمتاخمة لحدود الشام ، ... والضالعة تحت السيطرة الرومية التي كانت تحرّضها على الشغب والتخريب ضد المسلمين .

فأراد النبي ﷺ أن يؤدبهم حتى يقفوا عند حدودهم .

(١) الحقبة المثالية في الإسلام (ص ٢١٢) .

وكانت جبهة الحدود بين شمال شبه الجزيرة العربية وبين بادية الشام موضع عناية الرسول ﷺ منذ أن قتل رسوله - الحارث بن عمير الأزدي - الذي أرسله إلى عامل الروم على بصرى ، فأرسل سرية مؤتة للثأر من الذين اغتالوا رسوله وخالفوا أبسط القواعد العربية ، وكان من أمر هذه السرية ما كان من استشهاد أمرائها ، ومنهم زيد بن حارثة والد أسامة أمير الجيش المتجه إلى الشام ، وفي السنة التاسعة قاد النبي الجيش بنفسه في الغزوة التي عرفت في التاريخ الإسلامي بغزوة تبوك ؛ لأن هزيمة المسلمين في مؤتة واستشهاد قواد السرية أثرت في مركز الإسلام وهيبته لدى القبائل القاطنة في شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام ولدى الروم أيضًا ، فكان الأمر يتطلب من القائد الأعظم ﷺ أن يرد اعتبار الإسلام والمسلمين في تلك الجهات ، فأعد هذا الجيش الضخم وقاده بنفسه ، خصوصًا أن أخبارًا وصلت إليه بأن طلائع قوات الروم قد تجمعت للإغارة على المسلمين .

ولما وصل النبي إلى تبوك وجد جموع الروم قد انفضت وانسحبت داخل بلاد الشام للاحتماء بحصونها ، واكتفى الرسول ﷺ بذلك ، ولم ير داعيًا لتتبع الروم داخل بلادهم وظل في تبوك بضعة عشر يومًا يتحدى الروم ويرسل سراياه إلى الجهات المجاورة ، وتوافد عليه كثير من القبائل الواقعة حول خليج العقبة لمصالحته والارتباط بمعاهدات صداقة ، ثم

كرَّ النبي ﷺ راجعًا إلى المدينة .

وضَّحنا ذلك لنبين أن الرسول ﷺ حينما أمر بتجهيز جيش أسامة كان يرمي إلى خطة محكمة سديدة وهي توجيه أنظار المسلمين إلى جهة الخطر المحدق بهم ، ويبدو لنا أنه لم يدر بخلده ﷺ أن جيش أسامة كافٍ لتقليم أظافر الروم وتأديب القبائل العربية الضالعة تحت سيطرتهم ، والقضاء على الخطر نهائيًّا ، وإنما أراده ﷺ آية على الطريق ، ولقد أثبتت الظروف الواقعية صدق نظرة النبي ﷺ وصدق توقعاته ، حينما جاء أبو بكر الصديق ليتم الخطة التي وضعها قائده الأعظم ، فلم يتردد لحظة في تسيير جيش أسامة ، ولما خوفوه الخطر على المدينة والجيش يفارقها ، قال : « واللَّه لا أحل عقدة عقدها رسول اللَّه ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة » [1] .

وتحقق الهدف كاملًا من بعثة أسامة ، ورجع ظافرًا وكان أبو بكر موفقًا للغاية كما سنبينه عند موقف أبي بكر رضي الله عنه من أمر بعث أسامة .

أمر النبي ﷺ بتجهيز جيش أسامة :

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ بعث بعثًا وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته ،

(١) عبقرية الصديق (ص١٢٦) .

فقام رسول اللَّه ﷺ فقال : « **إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وايم اللَّه إن كان لخليقًا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده** » (١) .

كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين ولاه رسول اللَّه ﷺ إمارة الجيش شابًّا صغيرًا لم يتجاوز العشرين من عمره ، وهذا ما جعل المنافقين يتكلمون ويطعنون في إمارته ، ويقولون : لقد ولَّى شابًّا صغيرًا الإمارة على جيش فيه جلَّة الصحابة وأكابرهم من المهاجرين والأنصار ، فكيف يكون أسامة أميرًا وأبو بكر وعمر تحت إمرته ؟! فلما ترامى هذا الكلام إلى سمع النبي ﷺ غضب ، وقال : « **إن تطعنوا في إمارته ...** » الحديث .

وإن الطعن في إمارة أسامة رضي الله عنه لم يأت من كبار الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا تحت إمارته ومن جنود جيشه ، فحاشاهم أن يطعنوا في إمارة أمير أمَّره عليهم سيدهم وقائدهم ﷺ فهم إن طعنوا في إمارة أسامة فكأنهم طعنوا في أمانة النبي ونصحه لهم ، وحاشا لأمانة النبي ﷺ أن تكون موضع طعن من أصحابه ، وكيف يؤمِّر النبي أميرًا غير كفء وهو الذي يروى عنه : « **من استعمل رجلاً على عمل وفي رعيته من هو خير منه فقد خان اللَّه ورسوله**

---

(١) البخاري (١٣٥/٥) .

وجماعة المسلمين » .

وإنما الطعن في إمارة أسامة جاء من الفئة المنافقة التي كانت تتحين الفرص وتنتهز الظروف لإيجاد أية ثغرة تنفث فيها سمومها وتبث أحقادها في صفوف الجماعة المؤمنة المتماسكة ، ولكن كانت عين الرسول الساهرة لهم بالمرصاد ، والدليل على ذلك ما رواه الطبري عن أبي مويهبة مولى رسول اللّه ﷺ حيث قال :

رجع رسول اللّه ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجة التمام فتحلل به السير ، وضرب على الناس بعثًا ، وأمَّر عليهم أسامة ابن زيد وأمره أن يوطئ من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن ، فقال المنافقون في ذلك ورد عليهم النبي ﷺ : « **إنه لخليق لها** - أي حقيق بالإمارة - **وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل وإن كان لخليقًا لها** »[(١)] .

ويبدو أن النبي ﷺ قصد من تأمير أسامة على جيش فيه كبار الصحابة وهو الشاب اليافع أن يثير الحماس ويهيئ نفوسهم لتحمل التبعات الجسام ويجعلهم يتطلعون إلى معالي الأمور ، وفوق هذا - أيضًا - يبدو أن النبي ﷺ أراد أن يجبر خاطر أسامة ؛ فأبوه قد استشهد في غزوة مؤتة ، فليقم أسامة مقام أبيه ، وليكن له من فخار النصر وعزه ما يعزيه عن ذلك الاستشهاد ، وتلك لعمري لفتة نبوية كريمة .

---

(١) الطبري (١٨٤/٣) .

خروج أسامة وعسكرة الجيش بالجرف :

أخذ أسامة ﷺ يستعد للسفر إلى تخوم البلقاء من أرض الشام ، وبينما هو كذلك إذ مرض رسول اللّٰه ﷺ فحال مرضه دون مسيرة الجيش ، وظل ينتظر ما تسفر عنه الأيام ، إذ كيف يغادر المدينة والنبي على فراش المرض ؟! ويتساءل محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ويقول : « وقد يسأل إنسان كيف يحول مرض الرسول ﷺ دون مسيرة جيش أمر هو بجهازه ؟ » ويجيب على هذا التساؤل فيقول : « لكن مسيرة جيش إلى الشام يقطع البيد والصحاري أيامًا طويلة ليست بالأمر الهين ولم يكن على المسلمين - والنبي أحب إليهم من أنفسهم - أن يتركوا المدينة وهو يشكو المرض وهم لا يعلمون ما وراء هذا المرض » (١) .

لقد بيَّنا أن المنافقين وحدهم هم الذين طعنوا في إمارة أسامة ، ولم يثبت أن أحدًا من كبار الصحابة طعن في إمارته أو تمرد عليه ، ولكن جاء في القرن الرابع عشر الهجري من يهجس بأكثر مما هجس به المنافقون من قبل ، ويقول : إن الصحابة جميعهم لا سيما الطامعين منهم في الخلافة قد تمردوا وعصوا أوامر النبي ؛ لأنهم عرفوا أنه قصد إبعادهم عن المدينة وهو في حال المرض ، وهو يعلم أنه

---

(١) حياة محمد (ص ٤٦٨) .

سيقابل ربه ليخلوَ الجوُّ لعلي بن أبي طالب ويفوز بالخلافة وحده ، وإذا كان النبي ﷺ أمَّر أسامة ذلك الشاب الصغير على شيوخ الصحابة - هكذا يرى صاحب السقيفة - فالحكمة من ذلك هي أن يقبلوا إمامة علي وخلافته عن الرسول وهو أصغرهم ، إلى آخر هذه المفتريات التي جاءت في كتيب السقيفة ، والذي سبقت الإشارة إليه ، فيقول مؤلفه بعد أن خاض وأطنب في أمر البعث : « وزبدة المخض أن بعث أسامة لا يصح أن يفسر إلا بأنه تدبير لإتمام أمر علي بن أبي طالب بمقتضى الظروف المحيطة به من تقدم النص على علي وقرب أجل النبي ﷺ ، وعلمه بأن هناك من لا يروق له ولاية ابن عمه وبمقتضى الدلائل الموجودة في الواقعة نفسها من تأمير فتى يافع وتكديس وجوه القوم وقوادهم في البعث وعدم دخول علي ومن يميل إليه ، وامتناع جماعة عن الالتحاق بالجيش ، وحث النبي على تنفيذه ، وغضبه من اعتراضهم وتخلفهم وهو في مرض الفراق والظرف دقيق على المسلمين .

فهذا البعث - في الوقت الذي كان تدبيرًا لإخلاء المدينة لعلي وحزبه - كان حجة على المستصغرين لسنه ، ودليلًا على عدم صلاح غيره لهذا المنصب العظيم ، فإذا كان الإخلاء لم يتم لتمانع القوم وعرقلتهم للبعث فإن الحجة ثابتة مع الدهر » [(١)] .

---

(١) السقيفة (ص٥٢) وما بعدها .

هذا كلام صاحب السقيفة ، ولا يخفى ما فيه من المفتريات العارية عن الدليل ؛ فالمؤلف يدور حول فكرة تخصيص الخلافة بشخص علي رضي الله عنه .

فلذلك يختلق الموافق ، ويلفق الوقائع ، وينسب للنبي وأصحابه ما لا يليق بهم . ونحن سنناقش هذه المفتريات لنفندها :

أولًا : وصف النبي الكريم ﷺ بالمكر والتدبير حيث جهز جيشًا ضم إليه كبار الصحابة ليبعدهم عن المدينة ؛ ليخلو الجو لعلي . فمتى كان النبي المعصوم ﷺ ذا كيد وخداع حتى ينسب إليه أنه أراد أن يخدع أصحابه ويسوقهم إلى الحرب لا جهادًا في سبيل الله ولكن لتخلو المدينة من منازعتهم لعلي في الخلافة ؟ وهل يصح أن يرتكب النبي هذا الغدر ويخون أصحابه بهذا الشكل وهو الموصوف بأنه على خلق عظيم وسماه ربه بالمؤمنين رؤوف رحيم ؟.

ثانيًا : لو كان النبي ﷺ يرى أحقية علي في الخلافة وتقديمه على أبي بكر فما الذي كان يمنعه من النص على ذلك صراحة ، وهل يخشى النبي أحدًا من أصحابه أو كان يخشى لومة لائم في أي موقف يرى أنه الحق والصواب والعدل ؟ وهل عرف عن أصحابه التمرد والعصيان ومخالفة أوامره حتى يلجأ إلى هذا التدبير من وراء ظهورهم وهم الذين كانوا أطوع له من بنانه ، ووقفوا يوم بدر يقولون : « امض يا رسول الله على بركه الله ، فوالله لو خضت بنا

البحر لخضناه معك ، ولو قصدت بنا برك الغماد ما تخلف منا عنك أحد ؟ هذا هو ماضيهم مع نبيهم ﷺ .

نعم هم كانوا يتنافسون على إطاعة أوامر النبي ، ولم يثبت ما يدعو لمجرد الشك فيهم فضلًا عن اتهامهم بالعصيان الصريح لأوامر النبي ﷺ ؛ لأنهم يؤمنون بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

يقول صاحب السقيفة : « فكان الغرض إخلاء المدينة من المزاحمين لعلي ليتم الأمر له ، بعد أن اتضح للنبي أن التصريحات بخلافته وحدها لا تكفي للعمل بها عندهم » [١] .

فالأمر في نظره أمر مزاحمة ومنافسة على الرياسة والسلطان ، وتضحية بالدين والأخلاق والقيم في سبيل الوصول إلى الخلافة ، نفس النغمة التي يرددها المستشرقون وأعداء الإسلام ، فمتى ثبت أن النبي صرح بخلافة علي وأنكر الصحابة عليه ذلك ؟ إن مناقشة قضية الوصية والنص عليها سنناقشها في موضع آخر ، ونريد أن نقول - هنا - لصاحب السقيفة : على رسلك أيها المتجني ، فلا تدبير من النبي لإخلاء المدينة ، ولا مزاحمة من أصحابه لعلي إن كان له حق ، وليست هذه المعاني الساقطة من التدبير والإخلاء والمزاحمة مما يدور في ذهن النبي وأذهان أصحابه ، فهم مشغولون بأكبر من هذا وأهم ، مشغولون بالوقوف أمام

---

(١) السقيفة (ص٥٦) .

دول جبارة تريد القضاء على دينهم فهم يبعثون الجيوش لقتالها وإرهابها حتى ينتشر الإسلام ، وتعم الرحمة والعدل سائر الأمم والشعوب .

يقول صاحب السقيفة : « فماذا دهى المسلمين حتى خالفوا الصريح من أمر النبي هذه المدة الطويلة من غير حياء ولا خجل ولا خوف من اللّٰه ورسوله ، وتواطئوا على غضبه ولعنهم جهارًا » (١) .

يا سبحان اللّٰه !! كيف لا يخاف اللّٰهَ ورسولَه قادةُ الأمة وأئمة الهدى الذين قال اللّٰه فيهم : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال فيهم الرسول ﷺ : « **إن اللّٰه ﷻ اختارني واختار لي أصحابي ، فجعل لي منهم وزراء وأختانًا وأصهارًا ، فمن سبهم فعليه لعنة اللّٰه والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل اللّٰه منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا** » (٢) .

فمتى كان أصحاب محمد ﷺ في موقف يستحقون أن يلعنهم عليه النبي ﷺ ؟ وهل ثبت أنه ﷺ لعن أصحابه ؟ وهل بُعث رسول لعانًا لأصحابه أم بعث ليتمم مكارم الأخلاق ويكون لهم القدوة الطيبة ؟ .

وأخيرًا يقول صاحب السقيفة : « ولو أن القوم امتثلوا

---

(١) السقيفة (ص٥٤) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٩٧) .

الأمر لأصابوا خيرًا كثيرًا ولتبدل سير التاريخ تبدلًا قد لا يحيط به حتى الخيال » [١] .

فنقول له : إن الثابت فيما يرويه الثقاة من المحدثين والمؤرخين أنهم امتثلوا أمر النبي في بعث أسامة كما هو شأنهم في كل أمر يأمرهم به ، أما توقف الجيش عن المسير فليس مخالفة للنبي كما زعمت ، ولكن ترقبًا لنتيجة مرضه ﷺ فلم تقبل نفوس أصحابه الكرام البررة أن يغادروا المدينة ونبيهم في مرض الموت وكيف يقدرون على ملاقاة الأعداء وقلوبهم حائمة حول نبيهم وأفكارهم مشغولة بحبيبهم ؟ بل بأحب الناس إليهم من أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .

إن عدم مغادرة الجيش للمدينة لهو من أقوى الأدلة على كفاءة القائد وطاعة الجند له ؛ إذ رأى أن من الحكمة أن يظل قريبًا من عاصمة الدولة والنبي يحتضر ، فربما يحدث أمر يكون وجود الجيش ضروريًّا له .

هذه أمثلة من مفتريات صاحب السقيفة وأكاذيبه التي يدبجها حول الشخصيات العظيمة من قادة الأمة ، فهل رأيت كيف أن هذا الدين وإن كان طعن من أعدائه مرة فقد طعن من أدعيائه مرات ؟ ولكن لا يضر البحر أن يلقي فيه غلام بحجر .

* * *

---

(١) السقيفة (ص ٥٨) .

ما أثير حول قوله ﷺ : « ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا »

معظم كتب التاريخ والحديث تُحدِّثنا أن الرسول ﷺ طلب أثناء مرضه أن يحضروا له قرطاسًا ودواة يكتب لهم كتابًا لا يضلون بعده أبدًا ، وأن بعض الحاضرين من الصحابة رد بأن النبي قد غلبه الوجع وعندنا كتاب اللّٰه حسبنا . قال ابن عباس : يوم الخميس ، وما يوم الخميس – ثم جرت دموعه على خديه – اشتد برسول اللّٰه ﷺ مرضه ووجعه ، فقال : « **ائتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتابًا لا تضلون بعدي أبدًا** » ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : إن رسول اللّٰه ﷺ يهجر فجعلوا يعيدون عليه ، فقال : « **دعوني فما أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه** » فأوصى أن يخرج المشركون من جزيرة العرب ، وأن يجازى الوفد بنحو ما كان يجيزهم ؛ وسكت عن الثالثة عمدًا أو قال نسيتها (١) .

وروى البخاري نفس الرواية عن ابن عباس مع تغيير في بعض الألفاظ (٢) ، وروى ابن كثير عن علي بن أبي طالب ، قال : « أمرني رسول اللّٰه ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته بعده ، قال : فخشيت أن تفوتني نفسه ، قال : قلت : إني أحفظ وأعي ، قال : أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت

---

(١) ابن الأثير (١٥٣/٢) .
(٢) البخاري (١٢٨/٥) .

أيمانكم » [(١)] .

ورواية ابن كثير على جانب كبير من الأهمية في نظرنا ؛ لذكرها أن عليًا هو الذي تلقى الأمر بالكتابة فأجاب بما أجاب به ، وهذا يرد دعوى القائلين بأن الكتاب الذي كان يَوَدُّ الرسول ﷺ أن يمليه عليهم خاصٌّ بالوصية لعلي بالخلافة فليت شعري هل كان علي رضي الله عنه في مثل هذا الموقف تغيب عنه إرادة النبي ﷺ ويدع الفرصة تمر دون أن يكتب عن النبي كتابًا يوصى له فيه بأن يكون خليفة بعده ؟! .

إن هذا أبعد ما يكون عن العقل والمنطق ؛ لأن المعقول والمقبول في منطق العقلاء أن يبادر علي إلى تنفيذ أمر النبي ويكتب عنه الوصية له بالخلافة ؛ لتكون له سندًا قويًا في وجه الطامعين إن كان هناك طامعون ، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث ، بل كل الأدلة والقرائن تدل على أن ما كان يهم النبي ﷺ أمور عامة تخص الأمة كلها ؛ كالتأكيد على الصلاة والزكاة . يؤيد هذا ما جاء في رواية أم سلمة رضي الله عنها قالت : « كانت عامة وصية رسول الله ﷺ عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه » [(٢)] .

فمع وضوح هذه الروايات في أن الوصية كانت مركزة على الصلاة والزكاة ، وأن الرسول ﷺ لما اطمأن إلى

(١ ، ٢) البداية والنهاية (٢٣٨/٥) .

إجابتهم بأنهم حسبهم كتاب اللّٰه وهم متمسكون به طابت نفسه ولم يلح في طلب الكتاب ، إلا أن الذين أولعوا بإثارة القضايا وتضخمها وإلقاء الشكوك على حوادث هذا العصر الطاهر ورجاله - أبوا أن تمر هذه الحادثة بسلام دون أن يختلقوا حولها مواقف زائفة لبعض الشخصيات العظيمة في تاريخ الإسلام .

فالنبي في نظر صاحب السقيفة إذا طلب من الناس أن يحضروا له دواة وقرطاسًا ليكتب إنما يريد أن يكتب صكًّا لعلي بالخلافة ، والصحابة إذا ردوا بأنهم عندهم كتاب اللّٰه فإن ذلك لم يرق لمروجي الأكاذيب وإنما ينسبون إلى عمر ﷺ أنه هو الذي تولى الرد ؛ لأنه وحده الذي كان يدرك قصد النبي من الكتاب فوقف موقف المعارضة ؛ لأنه بطلها في وجه خلافة علي ، وهكذا لا يتورع صاحب (السقيفة) أن يوجه هذه السهام إلى تلك الشخصية العظيمة ، فحاشا لعمر أن يقول عن النبي أنه هجر ، هذا التعبير النابي ؛ فعمر هو الإنسان المهذب الذي هذّبه الإسلام وأدَّبه أستاذه ﷺ ، وقال في حقه : « **عمر بن الخطاب معي حيث أحب وأنا معه حيث يحِب ، والحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان** » [١] .

وحاشا لعمر أن يقف موقف المعارضة من أمر يريد أن يمضيه النبي ﷺ ولم يكن هناك أحزاب لها أبطال ؛ فالقوم

---

(١) عبقرية عمر (ص ١٦١) .

جميعًا أبطال وحزب واحد ، ويد واحدة ، وقلب واحد ، وكانوا مثلًا لم يتكرر في الألفة والمودة والأخوة الصادقة ، ولكن صاحب (السقيفة) يأبى عليهم إلا أن يكونوا أحزابًا متنافرة ، يتطاحنون على السلطان وعرض الدنيا وهم الذين قهروها وكانت عندهم أحقر من نعالهم ، يشهد لهم بذلك ربهم ونبيهم وتاريخهم ، ولكنه البلاء المبين الذي مني به التاريخ الإسلامي وقضاياه ورجاله ، حيث دفعت العصبية المذهبية أمثال صاحب (السقيفة) أن يقلبوا الحقائق ويشوهوا الصورة المضيئة المشرقة للتاريخ الإسلامي والبطولات الإسلامية .

يقول المؤلف : « والخلاصة أن الكتاب الذي أراد أن يكتبه النبي ﷺ من نفس وصفه له : لا تضلوا بعده أبدًا . ومن نفس رد عمر : حسبنا كتاب اللّٰه . ومن قرائن الأحوال المحيطة بالقصة بعد توقف البعث - أي بعث أسامة - نعرف أن المقصود منه النص على خليفته من بعده وهو علي بن أبي طالب ... » إلى أن قال : « وليس بالبعيد أنه ﷺ امتنع عن التصريح شفاهًا أو كتابةً بعد هذه القصة ؛ لئلا يأخذ اللجاج بالبعض إلى الخروج على الإسلام ، فتكون المصيبة أعظم على الإسلام والمسلمين . وهذا ما حدا بعلي عليه السلام إلى المجاراة والمحاشاة ؛ فلذا قال في خطبته السقيفية : (فطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جداء أو أصبر على طخيّة عمياء فرأيت أن

الصبر على هاتا أحجى » [١] .

ويقول في موضع آخر : « فكانت هذه من عمر بمشهد النبي للحيلولة دون الكتاب لعلي إقدامًا جريئًا جاء في وقته المناسب قبل أن تفوت الفرصة ، ولا يشبهه موقف آخر على كثرة مواقفه في سبيل إتمام البيعة لأبي بكر ، فإنه هو الذي شهد بيعة أبي بكر ، وكافح المخالفين ، ولولاه لم يكتب لأبي بكر أمر ولا قامت له قائمة ... » .

إلى أن قال : « ولا يستطيع الباحث أن ينكر من عمر بن الخطاب تمالؤه على علي بن أبي طالب ويقظته فيما يخص استخلافه ، وكذلك جماعته الذين شاهدنا منهم التعاضد والتكاتف في أكثر الحوادث ؛ كأبي بكر ، وأبي عبيدة ، وسالم مولى حذيفة ، ومعاذ بن جبل وأحزابهم » [٢] .

هذا ملخص لما حواه كتاب (السقيفة) من مفتريات وأكاذيب حول قصة الكتاب ، وهناك كثير من التفاهات تركناها اختصارًا .

والآن نريد أن نناقش هذه الأكاذيب لتعريتها بالنقد الموضوعي :

أولًا : نقول لصاحب السقيفة من أين علمت أن الكتاب الذي كان يريد النبي أن يمليه على أصحابه قد أعد للوصية

---

(١) السقيفة (ص ٦٥ ، ٦٦) .

(٢) السقيفة (ص ٦١ ، ٦٢) .

لعلي بالخلافة ؟ وما الدليل على ذلك ؟ نحن لا نرى أي دليل أو قرينة تدل على أن المراد كان النص على خلافة علي ، بل إن رواية ابن كثير صريحة في أن عليًا هو الذي تلقَّى الأمر بالكتابة ، وأجاب بأنه يحفظ ويعي ، فأوصى النبي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم ، فهل كان علي يتأخر عن كتابة وثيقة ترشيحه أو تعيينه خليفة ؟ أم أن صاحب السقيفة أعلم بمراد النبي من علي وأحرص من عليٍّ على نفسه ؟! .

ثانيًا : نقول لصاحب السقيفة على فرض أن الكتاب الذي كان يريد النبي ﷺ أن يمليه على أصحابه خاص بالنص على خلافة علي ، وأن عمر منع من ذلك ، فهل كان عمر ملازمًا للنبي في مرضه أكثر من علي وبقية بني هاشم ؟ وهلَّا كان في وسع النبي ﷺ أن يدعو إليه عليًا ويملي عليه الكتاب الذي يريد ويختمه بخاتمه الشريف ويضع عمر وغيره أمام الأمر الواقع ، فهل كان النبي يعجز عن ذلك ؟ وهل كان في وسع أحد أن ينكر عليه لو هو أراد ؟ اللَّهم إن ذلك محض اختلاق دفع إليه التعصب الأعمى .

ثالثًا : صاحب السقيفة يأبى إلا أن يقسم الصحب الكرام إلى مجموعات متنافرة فيقول : « وهل يخفى على أحد ما كان في القلوب من تنافر ؟ » [1] .

---

(١) السقيفة (ص٦٢) .

فلا ندري أصاحب السقيفة أصدق أم الله ﷻ الذي وصفهم بأطيب الصفات وباركهم ورضي عنهم ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، ويقول تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] اللَّهم إنه التجني على هذه العصبة الطاهرة ، دفع إليه التعصب المذهبي المحموم .

رابعًا : يقول صاحب السقيفة : « وليس بالبعيد أنه ﷺ امتنع عن التصريح شفاهًا أو بالنص على خليفته ؛ لئلا يأخذ اللجاج بالبعض إلى الخروج على الإسلام ... » إلخ .

كيف يستقيم هذا القول مع قوله : بأنهم « لو كتبوا الكتاب لجنبوا أنفسهم كل خلاف أو اختلاف » ؟ وهل يأخذ بهم اللجاج ويخرجون من الإسلام إذا كتبوا عن النبي ﷺ ما قال عنه هو نفسه : « لا تضلون بعده أبدًا » ؟! .

هذا تناقض واضح ، ويحلو للمؤلف أن يصور عمر ﷺ كعدوٍّ لدود لعلي وآل البيت النبوي ، ولكن الواقع يكذبه ؛ يقول العقاد في معرض العلاقة بين عمر وعلي وبقية البيت الهاشمي ﷺ أجمعين : « فالذين أولعوا في التاريخ بخلق القضايا والمخاصمات يقولون كثيرًا في هذه العلاقة ، ويمثلون عمر على صورة الرجل الذي كان يتحدى بني هاشم

ويناجزهم مناجزة لعصبية فيه عليهم ، ولكنهم لا يذكرون من الوقائع ما يعزز شبهة أو يرجح بظن في هذه الوجهة ، وكل ما حفظته لنا أنباء العصر فإنما تخلص بنا إلى الخلاصة التي تجمل بعمر وتحمد منه ، وهي الوفاء المحض لذكرى النبي عليه السلام في آله وخاصة بيته ، والأمانة المحض لمصلحة العرب والإسلام مقدمة على كل مصلحة خاصة أو عامة ، وكل ما عدا ذلك لغو باطل ، فعند تقسيم الأعطية كان لآل النبي النصيب الأوفى والمكان المقدم بين الصحابة وكان لهم التفضيل في كل حق من حقوق المسلمين ، حسبما كان بينهم وبينه عليه السلام من رحم وقرابة ، وفضّلهم عمر على أقرب الناس إليه في اللقاء والحفاوة » [١] .

* * *

(١) عبقرية عمر (ص ١٧١ ، ١٧٢) .

إنكار عمر لموت النبي ﷺ

لا ريب أن موت الرسول ﷺ كان كارثة كبرى حلَّت بالمسلمين ، فأصيبوا بالذهول لفقدهم النور الإلهي الذي كان يضيء لهم جنبات حياتهم ، وأن أي مسلم يستعيد في ذهنه الساعة الرهيبة التي نعى الناعي فيها سيد الخلق أجمعين - يستطيع أن يتصور أية داهية دهت المسلمين ، وأي عقل يستطيع أن يحتفظ بتوازنه أمام هول الكارثة ؟!

إن الصحب الكرام عندما تلقوا خبر وفاة النبي ﷺ لم يصدقوا الخبر ولم يتصوروا أن يتركهم النبي هكذا ؛ لأنهم كانوا يظنون أن يظل النبي بينهم يدبر أمرهم حتى يكون آخرهم كما جاء على لسان عمر الذي وقف مذهولاً طائر العقل يتوعد من يقول بموت النبي بأشد العقاب ، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْحِ [1] - قال إسماعيل : يعني بالعالية - فقام عمر يقول : واللَّه ما مات رسول اللَّه ﷺ قالت : وقال عمر : واللَّه ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثنه اللَّه وليتقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول اللَّه ﷺ وقبله ، فقال : بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا ، واللَّه الذي نفسي بيده لا يذيقك اللَّه الموتتين

---

(١) ضاحية من ضواحي المدينة .

أبدًا ، ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد اللَّه أبو بكر وأثنى عليه ، وقال : ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا ﷺ قد مات ، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] (١) .

وروي عن عائشة - أيضًا - قالت : « فجاء عمر والمغيرة ابن شعبة فاستأذنا - أي على رسول اللَّه - فأذنت لهما وجذبت إليَّ - الحجاب فنظر عمر إليه ، وقال : واغشياه ما أشد غشي رسول اللَّه ﷺ ثم قاما فلما دَنَوا من الباب قال المغيرة : يا عمر مات رسول اللَّه ﷺ ، فقال : كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة ، إن رسول اللَّه ﷺ لا يموت حتى يفني اللَّه المنافقين ، قالت : ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه ، وقال : إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ ، مات رسول اللَّه ﷺ ... إلى أن قالت : وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ، ويقول : إن رسول اللَّه لا يموت حتى يفني اللَّه المنافقين ، فتكلم أبو بكر فحمد اللَّه وأثنى عليه ، ثم قال : إن اللَّه يقول : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ حتى فرغ من الآية ، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ

---

(١) البخاري (٤/١٧٩) .

﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ ... الآية . ثم قال : فمن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، فقال عمر : أو إنها في كتاب اللَّه ؟! ما شعرت أنها في كتاب اللَّه ! » [(١)] .

أي غرابة في موقف عمر إذ بلغه نبأ وفاة أحب الناس إليه فوقف هذا الموقف الذي فرضته عليه شدة المصيبة ؛ ولأنه كان يظن أن النبي سيبقى معهم يدبر أمرهم حتى يكون آخرهم كما قال هو نفسه معتذرًا بعد ذلك ، ويبدو لنا أن عمر قال ما قال أخذًا من رد عائشة رضي الله عنها على المغيرة حينما قال : يا عمر مات رسول اللَّه ، فقال : إن رسول اللَّه لا يموت حتى يفني المنافقين ، ولم يكن عمر وحده هو الذي أنكر موت النبي ؛ بدليل أن الصحابة أو معظمهم أخذ يردد الآية التي تلاها عليهم أبو بكر ، يروي الطبري عن أبي هريرة في معرض ذكر خطبة أبي بكر : « فواللَّه لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول اللَّه ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم » [(٢)] .

هل بعد هذا يمكن أن يتهم عمر بأنه أنكر أمرًا علم بالضرورة ؟ وهل استمر عمر على هذا الإنكار أو أنها حالة نفسية معهودة في مثل هذا الموقف الذي تهون عنده كل المواقف ، ثم لما سمع الآية من أبي بكر ثاب إليه رشده وعلم

---

(١) البداية والنهاية (٢٣٨/٥) . (٢) الطبري (٢٠١/٣) .

أنه الموت ؟

ولكن صاحب السقيفة سمح لنفسه أن يحبس عمر رضي الله عنه في قفص الاتهام موجهًا إليه تهمة أنه وقف هذا الموقف ليلهي الناس ويحول أنظارهم عما اتجهوا إليه من مبايعة علي حتى يحضر أبو بكر ، فيقول : « يبدو لي أن عمر كان أبعد من أن يظهر بهذه السهولة لقارئ هذه الحادثة ، ومن البعيد جدًّا ، وفوق البعيد ، أن يعتقد مثله أن النبي لا يموت يوم مات ، ألا تعتقد معي أنه كان يخشى أن يحدث القوم ما لا يريد ، وقد اشرأبت الأعناق بطبيعة الحال إلى من سيخلف النبي ، وهذه ساعة طائشة وأبو بكر بالسنح غائب ، وهو خدنه وساعده ، وهما أينما كانا هما ، ولعلهما وحدهما قد تفاهما في هذا الأمر فأراد أن يصرف القوم عما هم فيه ويحول تفكيرهم إلى ناحية أخرى إن لم يجعلهم يعتقدون غياب ، النبي ، حتى لا يحدثوا بيعة لأحد من الناس قبل وصول صاحبه ، وليس هناك من تَحُول حولَه الأفكار إلا عليٌّ للنص عليه كما نعتقد ، أو لأنه أولى الناس : ما شئت فقل » (١) .

هذا بلا شك تحميل للموقف فوق ما يحتمل وترديد لمزاعم المستشرقين ، فما التفاهم الذي كان بين أبي بكر وعمر حول هذا الأمر ؟ هل هي مؤامرة لاغتصاب الخلافة كما

---

(١) السقيفة (ص٨٥ ، ٨٦) .

يدعي رجال الاستشراق ؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتآمر أبو بكر وعمر على شيء ولا يعلم اللّٰه رسوله ﷺ به ؟ وهل من أخلاق أبي بكر وعمر وصحبتهما للرسول ﷺ أن يدبرا شيئًا في الخفاء بعيدًا عن سيدهما ومعلمهما ؟ وهل نسيا دينهما فانشغلا بالدنيا وسلطانها إلى الحد الذي يجعل عمر يقف ممثلًا على مسرح وفاة النبي يؤدي هذا الدور الحزين حتى يحضر أبو بكر ؟ ما هذا يا صاحب السقيفة ؟ لو كنت تتحدث عن بعض رجال السياسة والدهاء في العصر الحديث لكان من الممكن أن نصدقك ، ولكنك تتحدث عن أبي بكر وعمر أفضل اثنين بعد رسول اللّٰه باعتراف الأصحاب جميعًا وعلى رأسهم عليٌّ نفسه الذي جعلته محورًا لأكاذيبك وهو منها بريء . فلقد روى البخاري « عن محمد ابن علي بن أبي طالب ، قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول اللّٰه ﷺ ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر . وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ، قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين » [١] ، وأخرج أحمد وغيره عن علي ، قال : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر » [٢] .

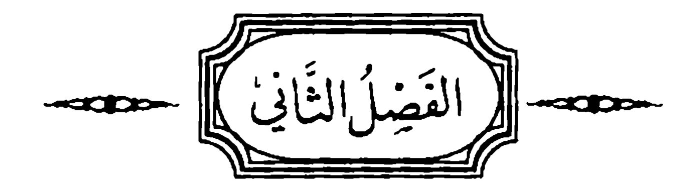
ولكن صاحب السقيفة يأبى إلا أن يعلنها حربًا شعواء بين الصحابة رضوان اللّٰه عليهم أجمعين ، ولكنهم رغم أنفه عاشوا إخوة متحابين لا أعداء متنافرين .

(١ ، ٢) تاريخ الخلفاء (ص ٣١) .

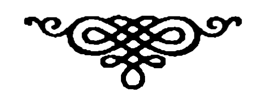


وبيعة أبي بكر رضي الله عنه

دراسة نقدية



المناقشات التي دارت في سقيفة بني ساعدة



موقف القرآن الكريم والرسول ﷺ من أمر الخلافة

قبل أن نذهب إلى سقيفة بني ساعدة لترقب اجتماع المهاجرين والأنصار بشأن الخلافة - نريد أن نبين موقف القرآن الكريم وموقف النبي ﷺ من أمر الخلافة ، ونريد أن نحسم القول في حديث (الوصية) وحديث (الأئمة من قريش) حتى نستطيع أن نحلل مؤتمر السقيفة ونضعه موضعه الصحيح من التاريخ .

أما القرآن الكريم فلم يرد فيه نص صريح على تعيين من يخلف النبي ﷺ أو تعيين قبيلة معينة أو بيت معين يكون منه الخليفة ، وكذلك لم يحدد القرآن الكريم للمسلمين طريقة معينة يسيرون عليها في تعيين خلف للنبي ﷺ .

وإنما جاءت في القرآن آيات عامة ترسم الخطوط العريضة وتضيء للمسلمين الطريق إن ضلت بهم الطريق ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] .

والجماعة المسلمة في ضوء القرآن الكريم وتعاليم

النبي ﷺ يجب أن تسلم زمامها وتلقي أمرها إلى أتقى القوم وأخلصهم لله ولدينه ولرسوله ؛ فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ورسوله ﷺ يقول : « **لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى** » .

وأما الرسول ﷺ فلم يرد عنه نص صريح في رواية موثوق بها أنه أوصى بهذا الأمر لأحد من أصحابة ، لا لعلي كما تزعم الشيعة ولا لأبي بكر كما يدعي أهل السنة .

وإنما يمكن أن يقال : إن الرسول ﷺ أومأ إلى هذا الأمر إيماء بتقديم أبي بكر ﷺ ليؤم المسلمين في الصلاة حينما اشتد مرضه ، وكأني به ﷺ أدرك حاجة المسلمين إلى معرفة رأيه في الخلافة فأمدهم به بطريق الترشيح ، فكأنه يقول لهم : أرشح أبا بكر للخلافة بعدي ، فإن رأيتموه أهلًا لها وجديرًا بها وصالحًا لتحقيق مصلحتكم في دينكم ودنياكم فأنتم وذاك ، وإلا فلتروا لأنفسكم . ولم يشأ أن يقيدهم بشخص معين ولا بطريقة معينة وإنما ترك لهم الأمر ليختاروا لأنفسهم في ضوء الظروف المحيطة بهم ، يقول ابن كثير : « ومن تأمل ما ذكرناه ... ظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينًا لأحد من الناس لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلي كما يقول طائفة من الرافضة ، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصدِّيق »[(١)] .

(١) البداية والنهاية (٥/٢٥٠) .

ولقد روي عن الصدِّيق نفسه أنه قال : « ولقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر » فقال : « **يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه ، وهو لمن يتضاءل عنه لا لمن يشمخ إليه ، وهو لمن يقال له هو لك لا لمن يقول هو لي** »[1] .

وهذا الحديث فيه دلالة قاطعة على أنه لا وصية من الرسول بهذا الأمر ، لا لأبي بكر ولا لغيره ؛ إذ لو كان هناك وصية لما كان هناك سؤال من أبي بكر ، ولكانت إجابة الرسول صريحة في ذلك .

ومعظم الباحثين على هذا الرأي ، يقول ابن خلدون : والأمر الثاني هو شأن العهد من النبي ﷺ ، وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي ﷺ ، وهو أمر لم يصح ، ولا نقله أئمة النقل ، والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس ليكتب الوصية ، وأن عمر منع من ذلك فهو دليل واضح على أنه لم يقع ، وكذا قول عمر ﷺ حين طعن وسئل في العهد ، فقال : « أن أعهد فقد عهد من هو خير مني » - يعني أبا بكر - « وإن أترك فقد ترك من هو خير مني » - يعني النبي ﷺ - وكذلك قول علي للعباس ﷺ حين دعاه للدخول إلى النبي ﷺ يسألانه عن شأنهما في العهد فأبى علي من ذلك ، وقال : « إنه إن منعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر » وهذا دليل على أن عليًّا علم أنه

---

(١) صبح الأعشى (٥/٢٤٠) .

لم يُوص ولا عهد إلى أحد »[١] .

ويقول أحمد أمين : « توفي رسول الله ﷺ ولم يعيِّن من يخلفه ولم يبيِّن كيف يكون اختياره ؟ »[٢] .

ويقول عبد الوهاب النجار : « ولم يرد عن رسول الله ﷺ بيان نظام خاص يتبعه المسلمون في انتخاب من يلي أمورهم »[٣] .

ويقول الدكتور حسن إبراهيم : « لم يوص النبي بزعامة المسلمين لأحد من أصحابه ، بل ترك مسألة الخلافة شورى بينهم »[٤] .

ويقول الدكتور إبراهيم شعوط والدكتور زيادة : « انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى دون أن يترك للمسلمين من بعده نصًا صريحًا على نظام يلتزمونه في ولاية الأمر بعد وفاته ، فليس في القرآن ما يشير إلى شيء من ذلك تفصيلًا أو إجمالًا ، بالرغم من أهمية هذا الأمر وخطورته عند المسلمين »[٥] .

يتضح من ذلك بما لا يدع مجالًا للشك أنه لا نص من النبي في الخلافة ، بل إنه ترك الأمر شورى بين المسلمين لحكمة تشريعية سنبينها قريبًا .

* * *

(١) المقدمة (٥٥٥/٢) . (٢) فجر الإسلام (ص ٢٩٦) .

(٣) الخلفاء الراشدون (ص ١٥) .

(٤) تاريخ الإسلام السياسي (٢٤٨/١) .

(٥) الحقبة المثالية في الإسلام (ص ٢١٤) .

حديث الوصية

أما حديث الوصية المزعوم والذي يرويه الشيعة هكذا : «لكل نبي وصي ووارث وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب » [(١)] - فالأدلة متوافرة على أن هذا الحديث مدسوس ومكذوب على رسول الله ﷺ . من ذلك :

١ - ما يرويه البخاري عن طلحة قال : « سألت عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنهما : أوصى النبي ﷺ ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بها ؟ قال : أوصى بكتاب الله » [(٢)] .

٢ - روى ابن كثير عن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن سفيان قال : « لما ظهر علي على الناس قال : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، أو قال حتى ضرب الدين بجرانه » . ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله : « وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك

---

(١) البخاري (١٣١/٥) . (٢) البداية والنهاية (٢٥٢/٥) .

أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع للّٰه ولرسوله في حياته وبعد مماته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه نصًّا حاشا وكلا . ولِمَ ؟

ومن ظن بالصحابة رضوان اللّٰه عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ، ومضادتهم في حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام ، ثم لو كان مع علي ابن أبي طالب ﷺ نص فلِمَ لَمْ يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته وإمامته لهم ؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للإمارة . ولو كان يقدر ولم يفعله فهو خائن والخائن فاسق مسلوب معزول عن الإمارة وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل ، ثم قد عرفه وعلمه من بعده فهذا محال وافتراء وجهل وضلال ، وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام ، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل لمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان ، عياذًا باللّٰه مما هم فيه من التخليط والخذلان والتخبيط والكفران » (١) .

٣ - أخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن أبي وائل قال : قيل لعلي ألا تستخلف علينا ،

---

(١) البداية والنهاية (٥/٢٥٢) .

فقال : ما استخلف رسول اللَّه ﷺ فأستخلف ، ولكن إن يرد اللَّه بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم (١) .

٤ - أخرج ابن سعد عن الحسن قال : « قال علي : لما قبض رسول اللَّه ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة - فرضينا لدنيانا من رضي رسول اللَّه ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر » (٢) .

٥ - جاء في البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكر عندها أن النبي ﷺ أوصى لعلي ، فقالت : « من قاله ؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخنث فمات ، فكيف أوصى لعلي » ؟ (٣) .

هذا عدا الأدلة التي سبقت الإشارة إليها ، ويضاف إلى ذلك من الأدلة العملية ما يعضد هذا الكلام ، فملازمة علي للصدّيق رضي الله عنهما حيث لم يتخلف عنه في صلاة ولا جمعة ، وخروجه معه في حروب الردة ، يدل على علمه بعدم النص ، وأن حديث الوصية من وضع الشيعة والشعوبيين الذين عجزوا عن طعن الإسلام بالسيف فأرادوا أن يطعنوه باللسان بدس الأحاديث المكذوبة والأقوال المختلقة .

* * *

(١) تاريخ الخلفاء (ص ٥) . (٢) تاريخ الخلفاء (ص٥) .
(٣) البخاري (١٣١/٥) .

الحكمة في عدم النص على الخلافة

لقد بيَّنا آنفًا أن النبي ﷺ ترك الأمر دون تعيين ولم ينص على طريقة معينة يسير عليها المسلمون في اختيار من يحكمهم ، والحكمة في ذلك كما يرى أغلب الباحثين أن يظل نظام الحكم الإسلامي مرنًا صالحًا لملاءمة كل الظروف يصوغه المسلمون ويشكلونه حسب مصلحتهم في ضوء هدي القرآن الكريم وتعاليم الرسول ﷺ .

أما ما ذهب إليه المستشرقون من أن الرسول لم يعين خليفة بعده ؛ لأن المرض منعه من ذلك ، أو أنه ترك ذلك متأثرًا بالنظم القبلية في تعيين شيخ القبيلة - فهذا ضرب من الوهم وجري وراء الخيال .

يقول السير توماس أرنولد : « لم يعين النبي خلفًا له ، ومن العبث أن نتحرى لماذا أهمل رغم عبقريته في التنظيم أن يحتاط لمستقبل الجماعة الدينية الحديثة التي أسسها ، فقد ساءت صحته لمدة من الزمن قبل مرضه الأخير - وربما كان مشوشًا في جسمه وعقله « مثل أوليفر كرومويل » - هكذا ، فلم يتمكن من التفرغ لذلك الأمر ، ومن المحتمل أيضًا أنه كان نابغة عصره ، وأدرك قوة الشعور القبلي العربي الذي لا يعترف بمبدأ الوراثة في أشكال حياته السياسية البدائية ، بل كان يترك لأعضاء القبيلة أمر انتقاء أميرهم

الخاص » [١] .

وكلا الافتراضين باطل ؛ لأننا لو قدرنا أن المرض منعه من تعيين خليفة فماذا كان المانع طوال السنين العديدة السابقة على المرض ؟ وهل كان المرض من الشدة بحيث منعه من التصرف في هذا الأمر الخطير ؟ وهل كان الرسول غافلًا عن هذا الأمر حتى تركه لآخر حياته حيث منعه مرض الموت أن يدلي بنص في هذا الشأن ؟ كذلك لم يكن الرسول ﷺ متأثرًا بالنظم القبلية في اختيار شيخ القبيلة ؛ لأن الجزيرة العربية لم تعرف لونًا واحدًا من ألوان الحكم ، بل عرفت العديد من نظم الحكم وأشكاله ، فكان فيها النظام القبلي كما كان فيها النظام الملكي الوراثي .

فيتلخص لنا أن ما ذهب إليه (أرنولد) لغو باطل ولم يبق إلا أن الرسول ترك ذلك متعمدًا ، ولحكمة تشريعية كما قلنا ، وكما يقرر ذلك الدكتور ضياء الدين الريس ، حيث يقول : « وإنما السبب الذي نراه حقيقيًا ؛ لأنه من الممكن أن يقاس عليه الدليل العقلي ، ولأنه قياس على ما عرف وثبت تاريخيًا عن الإسلام واتجاهاته في تشريعاته وأنظمته – هو أنه كانت هناك حكمة تشريعية كبيرة مقصودة من عدم تحديد هذا الأمر وتلك هي عدم تقيد الجماعة بقوانين جامدة قد تثبت الأيام أنها لا تتفق مع التطورات التي تحدث

---

(١) الخلافة (ص٧) .

ولا تلائم الظروف والأحوال ، فإن من الصفات الظاهرة التي حرص عليها الشرع أن تظل القوانين الإسلامية مرنة حتى تعطي مرونتها الفرصة للعقل للتفكير ، وللجماعة أن تشكل نظمها وأوضاعها حسب المصالح المتجددة ، وهذه إحدى الخصائص التي يعرف بها التشريع الإسلامي ؛ فالتشريع السياسي فيه لم يخرج على هذه القاعدة ، والذي يرجحه الذهن ، بل يكاد يقطع به - أن هذه الحكمة كانت مراعاة ومتعمدًا تحقيقها وأن هذا وحده هو التفسير الذي ينبغي أن يقبل » (١) .

وكما ذهب إلى ذلك - أيضًا - الدكتوران شعوط وزيادة حيث يقولان : « لعل رسول الله ﷺ لم يترك بيان هذا الأمر إلا لحكمة ، ولعل هذه الحكمة هي علمه أن أنظمة الحكم دائمًا تستمد من البيئة التي تعيش فيها المجموعة ، والبيئة دائمًا تتأثر بالزمن وتختلف باختلاف المؤثرات الطبيعية والاجتماعية والدينية ، والمفروض في الحاكم ونوع الحكومة أن يساير الزمن وينتزع من مقومات البيئة ، فإذا شرع القرآن طريقة الحكم أو أشار رسول الله إلى النوع الذي يجب التزامه في حكم المسلمين - لتقيَّد المسلمون بحَرفيته ، وفي ذلك ما يمنع الدولة الإسلامية من مسايرة الزمن ، والنزول على مقتضياته » (٢) .

* * *

(١) النظريات السياسية الإسلامية (ص ٢٠) وما بعدها .
(٢) الحقبة المثالية (ص ٢١٥) .

حديث : « الأئمة من قريش »

هذا الحديث تختلف فيه آراء الباحثين ، فبعضهم يرى أنه حديث صحيح وهو دليل على تخصيص الخلافة بقريش ، وبعضهم ينكر هذا الحديث ؛ لأنه في نظرهم ضد مبادئ الإسلام وجوهره الذي لا يعترف بالعصبية ولا بالعنصرية ، فأكرم الناس عند اللَّه أتقاهم ، ولا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وإن المسلمين مأمورون بالسمع والطاعة ولو تأمر عليهم عبد حبشي ، ثم إن هذا إن صح فيكون موقف الأنصار في سقيفة بني ساعدة مخالفة صريحة لنص صريح .

يقول الدكتور عبد الحميد بخيت : « على أن روح الإسلام - وهي شورية محضة - تنبو عن هذا الحديث ؛ لأن النص تستحيل معه الشورى والانتخاب ، ويترتب على ذلك - إن صح - إلزام المسلمين بالوقوف عند حد المنصوص ، طبقًا للتعاليم الإسلامية ، ويكون جدل الأنصار مخالفة صريحة لمبادئ الدين ، كما أن خروج الإمارة من قريش يعتبر خروجًا على الإسلام الذي ينص على أن الإمارة يتحتم أن تكون فيها ، وكل ذلك مخالف للحق والتاريخ ؛ إذ الأنصار من خيار المسلمين ، والإمارة خرجت من قريش في عصور كثيرة ، وروح الإسلام لا تتفق مع هذا الحديث » [1] .

---

(١) عصر الراشدين (ص ٥٢ ، ٥٣) .

ويقول طه سرور : « ومن الأوهام التي حلقت وهومت حول نظام الحكم الإسلامي ما زيفه بعض الفقهاء المتزلفون للحاكمين من الأمويين والعباسيين ، فتنادوا بأن الخلافة فريضة لقريش على المسلمين ، وصاغوا في هذا المعنى حديثًا نسبوه إلى رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه ، والإسلام بروحه ومبادئه وتشريعاته يبرأ إلى اللَّه من هذه الأرستقراطية الطبقية » [(١)] .

ويبدو أن هذا الحديث ليس من تزييف الفقهاء أو غيرهم ، بل هو حديث صحيح ورد بنصه أو معناه في كثير من كتب التاريخ والحديث ، ففضلًا عن أنه لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب المؤرخين القدامى ، فقد ورد في كثير من كتب الحديث الموثوق بها ، وعلى رأسها صحيح الإمام البخاري ﷺ ، فقد روى الزهري قال : « كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية - وهو عنده في وفد من قريش - أن عبد اللَّه بن عمر يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب فقام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنه بلغني أن رجالًا منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب اللَّه ، ولا تُؤْثَر عن رسول اللَّه ﷺ وأولئك جهالكم ، فإياكم والأماني التي تضل أهلها ، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ ، يقول : « **إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه اللَّه**

---

(١) دولة القرآن (١٢٩) .

على وجهه ما أقاموا الدين » (١) .

وروى أبو داود عن أنس أن النبي ﷺ قال : « **الأئمة من قريش إذا حكموا عدلوا وإذا عاهدوا أوفوا ، وإن استرحموا رحموا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلًا** » (٢) .

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الأمراء من قريش ، أبرارها أمراء أبرارها ، وفجارها أمراء فجارها** » (٣) .

وروى ابن كثير أن أبا بكر ﷺ قال في سقيفة بني ساعدة : ولقد علمت يا سعد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم** » فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء (٤) ، ولكن هل هذا الحديث يحمل على ظاهره فتكون الخلافة حقًّا لقريش وليس لغيرهم فيها حق أو أنه يمكن أن يخرج تخريجًا آخر يتفق وروح الإسلام ، ولا يصطدم بمبادئه الشورية المحضة .

الحق أنني رجعت إلى كثير من كتب المؤرخين والباحثين في هذا الموضوع ، فرأيت أن أوجه الآراء وأقربها إلى روح

---

(١) البخاري (٩٨/٨ ، ٩٩) بولاق .

(٢) منحة المعبود (١٦٣/٢) .

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٤ ، ٥) .

(٤) البداية والنهاية (٢٤٧/٥) .

الإسلام وأكثرها اعتدالًا ، هو ما ذهب إليه ابن خلدون : حيث يرى أن تخصيص الخلافة بقريش كما هو معنى الحديث ، إنما كان لما لها من العصبية التي لابد منها لحمل الكافة على الطاعة . ولا يخفى أن قريشًا كانت أقوى القبائل العربية ، يشهد لذلك الواقع التاريخي ، ولعل قول أبي بكر في سقيفة بني ساعدة : « لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش » يدعم وجهة نظر ابن خلدون التي يقول فيها : « وأما النسب القرشي فلإجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك ، واحتجت قريش على الأنصار بقوله ﷺ : « **الأئمة من قريش** » ، وبأن النبي ﷺ أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ، ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصاية بكم ، فحجوا الأنصار ، ورجعوا عن قولهم : منَّا أمير ومنكم أمير !

ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه نجده لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي ﷺ ، كما هو المشهور وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا ، ولكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية ، كما علمت ، فلا بد إذن من المصلحة في اشتراط النسب ، وهي المقصودة من مشروعيتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد إلا العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع بها الخلاف فتسكن إليه الملة وأهلها ، وينتظم حبل الألفة فيها ، وذلك أن قريشًا كانوا عصبة مضر ،

وأهل الغلب منهم ، وكان لهم على سائر مضر العزة والكثرة والعصبية والشرف ، فكان سائر العرب يعترفون لهم بذلك ، ويستكينون لغلبهم ، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم » (١) .

وكأن ابن خلدون يستدل على صحة قوله وسلامة وجهة نظره فيقول : « كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية » وفي الحديث الصحيح : « **ما بعث الله نبيًا إلا في منعة من قومه** » وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد ، فما ظنك بغيرهم الذي لا تخرق له العادة في الغلب بغير العصبية » (٢) .

وتعليقنا على هذا الكلام أننا نؤيد رأي ابن خلدون ونراه يحقق الملائمة بين الحكمة من تخصيص الخلافة في قريش وبين مبادئ الإسلام الشورية ، من حيث إن الحديث ليس دعوة للأستقراطية القرشية ، وإنما كان لضرورة اجتماعية وهي وجود العصبية في قريش مع عدم تخصيص فرد معين أو أسرة معينة يكون منها الخليفة وإنما ترك الأمر شورى للمسلمين ، يختارون شخصًا قريشيًا ؛ لأن العرب لم يتعودوا الخضوع لغير قريش .

ويرجح أن العصبية كانت ملحوظة - أنها حينما زالت

---

(١) المقدمة (٢/٥٢٣ - ٥٢٦) .

(٢) المقدمة (٢/٤٦٨) .

عن قريش ذهبت عنها الخلافة .

أما ما ذهب إليه الدكتور بخيت من أنه لو صح هذا الحديث لكان جدل الأنصار مخالفة صريحة لمبادئ الدين - فيمكن أن يجاب عنه بأن الأنصار حينما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة كانوا غافلين عن هذا الحديث فلما ذكرهم به أبو بكر صدقوه على لسان مرشحهم للخلافة سعد بن عبادة ، ويكون موقف الأنصار من هذه الناحية شبيهًا بموقف عمر بن الخطاب ﷺ عند موت النبي ، فلما ذكره أبو بكر بالآية صدَّق ، وقال : لم أكن أشعر أنها في كتاب اللَّه .

فيتلخص لنا أن هذا الحديث ليس تزييفًا ، كما أنه ليس دعوة لأرستقراطية قرشية وإنما هو لضرورة اجتماعية لازمة لحماية الدعوة والدولة .

* * *

اجتماع السقيفة

يروي المؤرخون أن الأنصار رضوان الله عليهم بعد أن أفاقوا من هول المصيبة وتحقق لديهم موت النبي ﷺ - هرعوا إلى عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة لمناقشة أمر الخلافة ، ووصل خبر الاجتماع إلى عمر فأبلغه من فوره إلى أبي بكر رضي الله عنهما وأسرعا إلى السقيفة وتبعهما أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وهناك ألفَوْا جمعًا من الأنصار بينهم سعد بن عبادة مزملًا ، وتبودلت الكلمات والخطب ، وعرض كل فريق وجهة نظره مدعمة بالحجج والأدلة ، وأخيرًا أسفر الاجتماع عن مبايعة أبي بكر رضي الله عنه كأول خليفة للرسول ﷺ .

والمراجع القديمة ، كعادتها ، تروي هذه الحادثة بعدة روايات ، وقد يكون ما بين رواية وأخرى بُعْد ما بين المشرق والمغرب ، ولم تتفق الروايات في هذا الموضوع إلا على شيء واحد ، وهو أن أبا بكر خرج من سقيفة بني ساعدة خليفة للمسلمين .

أما عدا ذلك فتغرقنا في بحر من الروايات المتضاربة التي تجهد الباحث في تلمس الحقيقة ، فرواية تذكر أنه بعد أن ألقى سعد بن عبادة كلمته في الأنصار وحثهم على مبايعته ؛ لأنهم أحق الناس بهذا الأمر لنصرتهم للإسلام ومؤازرتهم للنبي ﷺ وأجابوه بأنك أحسنت وأصبت نوليك أنت هذا الأمر .

ولكن رغم هذا لم تذكر أي رواية أن واحدًا من الأنصار لا من الأوس ولا من الخزرج تقدم ووضع يده في يد سعد مبايعًا له بالإمارة .

ورواية تذكر أنه لما وصل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وألقى أبو بكر كلمة قصيرة أشاد فيها بفضل الأنصار ، ثم وجه كلامه إلى سعد بن عبادة قائلًا : ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم** » ، **فقال له** سعد : « صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » (١) .

وبايع الناس أبا بكر وبايع سعد ، وعلى كل حال فلو أن الأمر اقتصر على هذه الروايات لكان الخطب يسيرًا ، فهي في مجملها لا تخدش في مركز الصحابة ، لكن الشيء الغريب الذي يثير الدهشة ما يروى أن المناقشة احتدت بين الصحابة إلى الحد الذي جعل الحباب بن المنذر يهدد المهاجرين بإجلائهم عن المدينة إن هم لم يوافقوا على أن يكون منهم أمير ومن الأنصار أمير .

وأي باحث منصف لا بد أن يقف من مثل هذه الروايات موقفًا حذرًا ؛ لأنها لا تتفق مع تربية الصحابة ، فهل انقلبت الحال بأصحاب محمد ﷺ بهذه السرعة وجسد الرسول ﷺ مسجًّى في حجرة عائشة لم يدفن بعد ؟

(١) العواصم من القواصم ، هامش (٤٥) .

وهل تغير الأنصار على هذا الوجه بعد أن آووا ونصروا واستقبلوا المهاجرين أروع استقبال وآثروهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟!

ولقد أثنى الله على الفريقين ثناءً طيبًا ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٩ ، ١٠] .

فقد ذكر البيضاوي أن الذين تبوأوا الدار هم الأنصار ، والذين جاءوا من بعدهم هم المهاجرون [١] فهذه الأخلاق السامية وهذا الاستقبال ينقلب هكذا إلى صرخة لإجلاء المهاجرين بعد هذه الصحبة الطويلة للنبي ﷺ ، وبعد أن تمكّن الإسلام من نفوسهم ؟! يبدو أن هذا ضرب من أوهام الشعوبيين وأعداء الإسلام .

لقد قلنا في مقدمة البحث إن الكتب التاريخية في عصر التدوين جمعت كثيرًا من الروايات المتضاربة ؛ لأن البعد الزمني الشاسع بين وقوع الحادثة وبين زمن تدوينها جعل عوامل النسيان والتغيير بالزيادة أو النقص تعمل عملها في

---

(١) البيضاوي (ص٧٢٦) .

تشويه الحقيقة .

بالإضافة إلى كثرة الفرق والطوائف التي عمدت إلى تعضيد مذاهبها الدينية والسياسية بأحاديث وروايات مكذوبة ، وقام أعداء الإسلام على مختلف أشكالهم من يهود ونصارى وشعوبيين بنصيب كبير في تشويه التاريخ الإسلامي وقلب حقائقه بالدس والوضع ، للتفريق بين المسلمين .

والذي زاد الأمر سوءًا وتعقيدًا أن المؤرخين القدامى دوَّنوا كل ما وصل إلى سمعهم دون نقد أو تحليل إلا ما ندر ، فقد يروي المؤرخ روايتين متعارضتين ويتركهما على علاتهما دون نقد أو تحليل ، وجاء المؤرخون في العصر الحديث وكان الظن بهم أن يصححوا ما وقع فيه أسلافهم من أخطاء فوقعوا بدورهم في خطأ فادح ، حيث طبقوا مقاييس العصور الحديثة وأساليب رجال السياسة المعاصرين على رجال العصر النبوي وعصر الراشدين ، وفاتهم أن أولئك الرجال الذين عاصروا النبي ﷺ كانوا نسيجًا فريدًا وجيلًا لم ولن يتكرر في تاريخ البشرية بشهادة إمامهم ﷺ حيث يقول : « **خير القرون قرني ثم الذين يلونه** » قال ذلك مرتين أو ثلاثًا ، ثم قوله ﷺ في الحديث الذي ذكرناه فيما سبق : « **إن الله اختارني واختار لي أصحابي** ... الحديث » [١] .

---

(١) يراجع (ص٣٥) .

والذي نريد أن نقوله : أننا لا ينبغي أن نقع تحت تأثير الروايات التي تذخر بها المراجع القديمة ولا أن نساير المؤرخين المحدثين الذين سايروا المستشرقين في تجريح بعض رجال ذلك العصر ، بحجة تطبيق المنهج العلمي في البحث ، وسبيلنا الذي لا نحيد عنه في رواية وقائع هذا العصر والحكم على رجاله وتصرفاتهم - أننا إذا رأينا رواية شاذة فيها مساس بأشخاص الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم تتعارض مع وصف الله ، سبحانه ، لهم ، وشهادة الرسول بسمو أخلاقهم ، فلا مجال إذن لتصديق مثل تلك الروايات .

والآن ندخل إلى سقيفة بني ساعدة لنستعرض الخطب والكلمات التي تناولها المتكلمون هناك ، ثم نضعها تحت الفحص والتدقيق لنستخلص منها ما نعتقد أنه الحقيقة وندع ما دون ذلك .

نسجل - هنا - رواية للطبري ، ورغم أنها طويلة فإنها ستفيدنا عندما نقارن بين أجزائها ، أو بينها وبين الروايات الأخرى .

يقول الطبري : « إن النبي ﷺ لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : نولي هذا الأمر بعد محمد ﷺ سعد بن عبادة ، وأخرجوا سعدًا إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه : إني لا أقدر لشكواي أن أُسمع القوم كلهم كلامي ، ولكن تلق

مني قولي فأسمعهموه .. فقال بعد أن حمد اللّٰه وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب . إن محمدًا ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول اللّٰه ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيمًا عموا به ، حتى أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه حتى استقامت العرب لأمر اللّٰه طوعًا وكرهًا وأعطى البعيد المقادة صاغرًا داخرًا حتى أثخن اللّٰه ﷻ لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه اللّٰه وهو عنكم راضٍ وبكم قرير عين ، استبدُّوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت ، نوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع ، ولصالح المؤمنين رضًا ، ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم ، فقالوا فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا : نحن المهاجرون ، وصحابة رسول اللّٰه الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه ، فعلام تنازعونا هذا الأمر ؟ فقالت طائفة منهم : فإنما نقول : إذن منَّا أمير ومنكم أمير ، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدًا » فقال

سعد بن عبادة حين سمعها : هذا أول الوهن ... وأتى الخبر عمر - فأعلم به أبا بكر فمضيا مسرعين نحوهم ، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم .

ولما أن وصلوا إلى السقيفة بدأ أبو بكر فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال : إن اللّه بعث محمدًا رسولًا إلى خلقه وشهيدًا على خلقه ليعبدوا اللّه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ... إلى أن قال : فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص اللّه المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به ، والمواساة له ... فهم أول من عبد اللّه في الأرض وآمن باللّه وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم . وأنتم يا معشر الأنصار من لا يُنكَر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ، رضيكم اللّه أنصارًا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تفتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور .

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح : يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيئكم وظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزة والثروة ، وأولوا العدد والمنعة والتجربة ، ذوو البأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ،

ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم ، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنَّا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم ... فقام الحباب بن المنذر ، فقال : يا معشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد ... أن جذيلها المحكك وعذيقها الموجب ، أما والله لنعيدنها جذعة .

فقال عمر : إذن يقتلك الله . قال : بل إياك يقتل . فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير ، فقام بشير بن سعد ... فقال : يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا .. إلى أن قال : ألا إن محمدًا ﷺ من قريش ، وقومه أحق به وأولى ، وايم الله ، لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم . فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ؛ فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار ،

وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ؟! ابسط يدك نبايعك ، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء : والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبًا أبدًا ، فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا إليه فبايعوه ... فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدًا لا تطؤوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ، ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممت أن أطأك حتى تندر (١) عضدك ، فأخذ سعد بلحية عمر ، فقال : والله لو حصصت منه شعره ، ما رجعت وفي فيك واضحة (٢) ... أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرًا يجحرك وأصحابك ، أما والله لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعًا غير متبوع ، احملوني من هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره ، وترك أيامًا ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك ، فقال : أما

---

(١) أي تزال عن موضعها .

(٢) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

واللَّه حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل ، وأخضب سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ، فلا أفعل ، وايم اللَّه لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم ، حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي . فلما أُتي أبو بكر بذلك ، قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع ، فقال له بشير بن سعد : أنه قد لج وأبى ، وليس يبايعكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده ، وأهل بيته ، وطائفة من عشيرته ، فاتركوه فليس تركه بضاركم ، إنما هو رجل واحد ، فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد ... فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع معهم ، ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر ﷺ .

يقول أبو جعفر عن الضحاك بن خليفة قال : لما قام الحباب ابن المنذر انتضى سيفه ، وقال : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، أنا أبو شبل في عريسة الأسد يعزي إلى الأسد .. فحامله عمر ، فضرب يده وتتابع القوم على البيعة ، وبايع سعد ..

عن جابر ، قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر : إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة ، فقالوا : إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ، ولكنا أجبرنا على الجماعة (١) .

---

(١) الطبري (٢١٨/٣ - ٢٢٣) .

هذه هي رواية الطبري عما حدث بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة .

وإن الباحث ليجد نفسه مضطرًا للوقوف أمامها طويلًا ، وذلك لما بين أجزائها من تضارب لا يخفى على النظر المتأني ، فعندما نلاحظ الفرق بين كلام سعد بن عبادة الذي قاله في السقيفة في أول الاجتماع ، والذي استهله بقوله : « يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب ... إلخ » - وبين ما جاء في الرواية من احتدام المناقشة بينه وبين عمر ﵄ ؛ إذ يقول له عمر : « لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك » فيرد سعد آخذًا بلحية عمر : « واللّه لو حصصت منه شعره ما رجعت وفي فيك واضحة » فبإمعان النظر - هنا - يداخلنا الشك في صحة هذه الرواية ؛ لأن كلام سعد الأول ليس فيه ما يعاب ، ولا يخدش الكرامة ، ولا يمس الدين ، فهو رجل زعيم في قومه يرى نفسه أهلًا للإمارة ، ويريد أن يحثهم لنصرته ، ويثير في نفوسهم العزة لسابقتهم في الدين التي ليست لقبيلة من العرب .

وهذه وجهة نظر شخصية لسعد قابلة لأن تكون صحيحة ، وغير صحيحة ، وهذا يظهر عندما تعرض وجهة نظر مقابلة ويتبين بالدليل أي الوجهتين تملك الحجة الأقوى ، وهذا ما فعله أبو بكر حين تكلم ، فسعد لم يَدْعُ إلى عصبيته ،

ولم يكن فيه نزعة قومية كما ادعى بعض المؤرخين ، وإنما اعتز سعد بسبق الأنصار وفضلهم ، وهو لا يعاب على هذا ، فأبو بكر نفسه لم ينكر على الأنصار شيئًا من فضلهم وسابقتهم ، ولكن الذي يعاب على سعد - إن صح - رده على عمر هذا الرد القاسي ، الذي لا يليق برجل عادي ، فضلًا عن زعيم لبطل عظيم فسعد وعمر كلاهما مبرآن من الانحدار إلى هذا المستوى من تبادل هذه الكلمات النابية التي يأباها خلقهم فضلًا عن دينهم .

ثم أي القولين نصدق لسعد : أقوله عند مطالبتهم له بالبيعة : « وايم اللَّه لو أن الجن اجتمعت لكم مع الأنس ما بايعتكم » أم قوله لأبي بكر : « إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة ، وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة » فهذا اعتراف منه بأنه بايع . وإذا أضفنا إلى ذلك قول سعد لأبي بكر في رواية ابن كثير : « صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » ، وذلك حين قال له أبو بكر : ولقد علمت يا سعد أن رسول اللَّه قال وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر** ... الحديث » تبيَّن لنا أن رواية بيعة سعد لأبي بكر أرجح .

وإن ما تذكره هذه الرواية من أن سعدًا أخذ بلحية عمر لا يسهل تصديقه من الناحية المنطقية لسبب بسيط ، وهو أن سعدًا ذلك الرجل المريض المزمل والذي لا يقوى على

الكلام في ذلك اليوم ، كيف وجد القوة التي جعلته ينهض ليأخذ بلحية عمر المعروف بأنه كان فارع الطول ، فالأخذ بلحيته يحتاج إلى قوة ونشاط ليستا موجودتين عند سعد في تلك الآونة .

كذلك فإن هذه الرواية تذكر عن الحباب بن المنذر - ذلك الصحابي الجليل - ما لا يسهل تصديقه أيضًا ؛ إذ صورته بصورة رجل لا تزال طباع الجاهلية تتحكم فيه ، فيصرخ صرخة عنصرية لإجلاء المهاجرين عند المدينة فهي ليست بلدهم ، وهذا لا يصدر إلا من رجل لم يؤثر الدين في طبعه وخلقه شيئًا ، ولا يمكن أن يكون ذلك الرجل هو الحباب ، فتاريخه منذ إسلامه ناصع ومشرف ، فهو الذي وقف يوم بدر يبذل النصيحة خالصة لله ورسوله في أدب جم ، فقبل الرسول ﷺ مشورته وأثنى عليه .

ثم إن المدينة لم تعد وطنًا للأنصار وحدهم ، فمنذ أن وطئتها أقدام الرسول ﷺ وآخى فيها بين المهاجرين والأنصار - أصبحت وطنًا قوميًا للجميع ، وعاصمة لدولتهم المرتقبة ، ولا يغيب هذا المعنى عن رجل مثل الحباب .

والذي يرتاح إليه العقل أن الحباب بريء من كل ما نسب إليه ، خصوصًا إذا لاحظنا أن بعض المؤرخين ، ومنهم اليعقوبي ، لم يذكر اسم الحباب في مناقشات السقيفة ، فيقول : « واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة - يوم

توفي رسول الله ﷺ - فأجلست سعد بن عبادة ... وبلغ ذلك أبا بكر وعمر والمهاجرين ، فأتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد ... وقالوا : يا معشر الأنصار - منَّا رسول الله فنحن أحق بمقامه ، وقالت الأنصار : منَّا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منَّا الأمراء وأنتم الوزراء ، فقام ثابت بن قيس بن شماس - وهو خطيب الأنصار - فتكلم وذكر فضلهم ، فقال أبو بكر : ما ندفعكم عن الفضل ، وما ذكرتم من الفضل فأنتم له أهل ، ولكن قريشًا أولى بمحمد منكم » (١) .

فهذه رواية لم نسمع فيها صوتًا للحباب ، ولم نسمع أن أحدًا من الصحابة خرج في كلامه عن حدود الأدب ، ولو بلفظة واحدة ، فإذا ضممنا إلى ذلك ما جاء في تاريخ الخلفاء : « فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك ، فقام زيد بن ثابت ، فقال : أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبي بكر ، فقال : هذا صاحبكم فبايعه عمر ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار » (٢) .

نستطيع إذن أن نقول : إن الروايات التي ضخمت موقف الحباب وأوردت على لسانه العبارات النارية ، إنما هي روايات ملفقة أسرف فيها الخيال إلى حد بعيد .

فعندما يقول خطيب الأنصار إن رسول الله كان من

---

(١) تاريخ اليعقوبي (١٠٢/٣) . (٢) تاريخ الخلفاء (ص ٢٦) .

المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، فماذا نطلب من الأنصار بعد ذلك ؟ ولماذا نجري وراء الروايات التي تثير الشكوك حول موقفهم ؟ - أليس سعد بن عبادة هو الذي قال لأبي بكر : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء ؟!! فكم سعد في القضية ؟

هل سعد هذا غير سعد ذاك ؟ أم أنه شخص واحد طمحت نفسه أن يقف على منبر النبي ﷺ وينال هذا الشرف الكبير الذي تتضاءل أمامه كل المراكز والمناصب ، فلما عرضت عليه وجهة نظر المهاجرين مدعمة بالأدلة والبراهين الساطعة وبيَّن له أبو بكر أن الأنصار مع فضلهم وسابقتهم ليسوا كالمهاجرين ؛ فالمهاجرون أول من أسلم وهم قوم النبي وعشيرته ، وبيَّن له أن دور الأنصار ليس هو الدور القيادي في الأمة وإنما هو دور المعاون والمشير .

عندئذ ثاب رشد الرجل إليه وأدرك موقفه الصحيح وصدق مقالة الصديق ﷺ ، وإذا كان المؤرخون القدامى قد دوَّنوا الروايات والأخبار على علاتها - كما ذكرنا - فما عذر المؤرخين والباحثين المحدثين ؟ لماذا لم يغربلوا هذه الروايات من المعاني الغريبة التي دسها الوضاعون كيدًا للإسلام والمسلمين ؟ - ولماذا يرددون روايات المؤرخين القدامى كأنها حقائق مسلمة اكتسبت من قدمها قداسة تجعلها مفروضة علينا ، فيعجب الإنسان عندما يرى مؤرخًا معاصرًا يتصور الأنصار بأنهم كانوا ينظرون إلى المهاجرين

على أنهم دخلاء عليهم في بلدهم ، فماذا صنعت إذن المؤاخاة التي آخاها الرسول ﷺ بينهم ؟ إن الذي يؤثر أخاه المسلم على نفسه لا يمكن أن ينظر إليه على أنه دخيل ؛ لأن الإسلام وحَّد بين قلوبهم وأرواحهم وعواطفهم وجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى - يقول الدكتور هيكل : « لقد كان الأنصار من أهل المدينة يجدون على المهاجرين أنهم آووهم ونصروهم أول ما جاءوا إليهم ضيوفًا مع الرسول ، فلما اطمأنوا أرادوا أن يستأثروا بالأمر دونهم ، كانت هذه روحهم في عهد النبي ، فكان من الطبيعي أن تظهر واضحة حين وفاته » [1] .

فأي فرق بين كلام هيكل عن الأنصار وكلام مستشرق مثل بروكلمان حيث يقول : « كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية المتمثلة في المهاجرين ليصبحوا سادة وطنهم الجديد كرة أخرى » [2] .

وفي رأينا أن كلام الدكتور هيكل وبروكلمان لا سند له من التاريخ ، ولا دليل له من الواقع ؛ فهذا الشعور لم يكن موجود أصلًا بين المهاجرين والأنصار ، فما الأمر الذي رأى الأنصار أن المهاجرين استأثروا به عليهم في حياة الرسول ﷺ ؟ الواقع يؤكد أن المهاجرين والأنصار جميعًا كانوا يعيشون في

---

(١) الصديق أبو بكر (ص ٥٨) .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (١/٩٨) .

حياة الرسول ﷺ في ظل عدالة مطلقة وأخوة ومساواة لا نظير لها ، وأما حين وفاة الرسول فلم يكن منهم إلا موقفهم من الخلافة حين ظن بعضهم أن لهم فيها حقًّا ولما وضحت لهم الحقيقة انصاعوا لها طائعين شأن المؤمن في كل تصرفاته .

ولم يحدثنا التاريخ أن الأنصار كانوا يعانون من ضغط أو أثرة عليهم من المهاجرين في العهد الرشيد ، وإنما كانت لهم مراكزهم وفضلهم ، وكما كانوا جنود الإسلام الحقيقيين في حياة صاحب الدعوة ﷺ كانوا كذلك في عهد خلفائه في حروب الردة ، وقتال المتنبئين ، والفتوحات الإسلامية ، ولم يرتفع صوت من أنصاري واحد يشكو ظلمًا وقع أو حقًّا ضاع منه ، فلماذا نتابع المستشرقين الذين يجهلون تاريخنا وتاريخ رجاله العظماء ، ويريدون أن يطبقوا الأساليب العصرية التي لا تعرف إلا التآمر والخداع وصولًا إلى السلطة على أولئك الرجال العظام ، الذين لم تكن الدنيا بما فيها تعنيهم في شيء ، كثير ولا قليل .

فالأنصار كانوا مؤمنين قبل كل شيء ، ولم يكونوا طلاب ملك أو سلطان أو جاه ، وغاية أمرهم أنهم إخوان يطلبون حقهم ، إن ثبت أن لهم حقًّا - وليسوا أعداء ينتزعون حقوق عدوهم ، وهم فوق ذلك مؤمنون يحسون ما يحسه المؤمنون جميعًا ؛ إذ قالوا : إن النبي قد ائتمن أبا بكر

على الدين بتقديمه للصلاة ، فكيف لا يؤتمن على الدنيا ؟ .

والخلاصة : أن الأنصار - رضوان اللّٰه عليهم - لم يكن حرصهم على الإمارة أشد من حرصهم على الدين ومصلحة المسلمين .

* * *

رأي في موقف الأنصار

إذا كان الأنصار ﷺ قد سارعوا إلى عقد اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة بعد تحققهم من موت النبي ﷺ ، فهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه ؛ فكل المسلمين كان يهمهم أمر الخلافة ، ويفكرون فيمن يخلف النبي ﷺ ، وتريد نفوسهم أن ترتاح وتطمئن إلى الشخص الذي سيكون بيده مقاليد أمورهم ، وزمام شؤونهم في دينهم ودنياهم .

والتفكير في أمر الخلافة طرأ على أذهان الكثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - حتى قبل أن تصعد روح النبي الطاهرة إلى الرفيق الأعلى ، يدل على ذلك ما يرويه المؤرخون عن ابن عباس ﷺ « أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا ، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب ، فقال : ألا ترى أنك بعد ثلاث عبد العصا ؟ وإني أرى رسول الله سيتوفى في وجعه هذا ، وإني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، فاذهب إلى رسول الله ، فاسأله فيمن يكون هذا الأمر ؟ فإن كان فينا علمناه ، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا ، قال علي : والله لئن سألناها رسول الله فمنعنا إياها لا يعطيناها الناس أبدًا ، والله لا أسألها رسول الله أبدًا »[1] .

(١) الطبري (١٩٣/٣) .

فلا غرابة إذن أن يفكر الأنصار في أمر الخلافة ، فالدافع الذي دفع الأنصار إلى عقد اجتماع السقيفة في نظرنا هو دافع المصلحة العامة ، فهم يهمهم أن يكون الدين مصونًا ، وأن تنفذ تعاليمه ومبادئه بدقة تامة ، وأن يكون عهد الخليفة الذي سيخلف النبي ﷺ فيهم امتدادًا للعهد النبوي الكريم ، ويكون الناس فيه سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

أما ما يدعيه بعض المؤرخين من أن الأنصار عقدوا اجتماعهم على هذه السرعة بعيدًا عن أعين المهاجرين ليقرروا أمر الخلافة ، ويستبدوا بها ، ويرى أن الدافع على ذلك إنما كان العصبية القبلية والنزعة القومية من الأنصار باعتبارهم أهل البلد والوطن - فهذا ما لا نستطيع أن نوافق عليه بالمرة ؛ لأن الواقع التاريخي يؤيد براءة الأنصار من كل ذلك ، فلم يَرْوِ التاريخ لهم سقطة واحدة ، أو موقفًا واحدًا سخطه منهم النبي ﷺ فقد كان دائم الثناء عليهم ، وفي غزوة حنين لما أعطى المؤلفة قلوبهم من الغنائم وظن الأنصار أنه قد استغنى عنهم لما وصل إلى وطنه مكة ، فلما علم بأمرهم ناداهم وقال لهم : « **يا معشر الأنصار ، ما مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟** » قالوا : بلى ، لله ولرسوله المن والفضل ،

فقال : « **ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟** » قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل ؟ قال ﷺ : « **أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذَّبًا فصدقناك ، ومخذولًا فنصرناك ، وطريدًا فآويناك ، وعائلًا فآسيناك ، وجدتم أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا ، وسلك الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار ، اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار** » فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا (١) .

فمواقف الأنصار كلها كريمة منذ أسلموا حتى انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ثم استمروا على كرم أخلاقهم ، وقوة عقيدتهم في عهد خلفائه ، ولم يحدث منهم شيء يحسب عليهم ، وما ذنبهم إذا كان بعض المؤرخين يرى غير ذلك ؟ فحسبهم كتاب الله وحديث رسوله في الإشادة بفضلهم وجهادهم ، فإذا كانت عوامل التغيير تدخلت في التاريخ لتشويه حقائقه فكتاب الله مصون بحمد الله ،

---

(١) ظهور الإسلام (ص٣٥٠) .

وكذلك الصحيح من حديث رسول اللّٰه ﷺ ، ولقد أوردنا قبل ذلك نصوصًا كثيرة من الكتاب والسنة في فضل الأنصار ، فلا نرى داعيًا لتكريرها .

لقد قلنا إن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة عقب وفاة الرسول ﷺ ليناقشوا موضوع الخلافة ، ومعظم المؤرخين يرى أن الأنصار كانوا ينوون عقد البيعة لزعيمهم سعد بن عبادة ، وعلى هذا فيكون موقفهم فيه مخالفة صريحة للحديث الذي يروى بأن الإمارة في قريش ، ومع أننا اعتذرنا عن الأنصار بأنهم كانوا غافلين عن هذا الحديث فلما ذكرهم به أبو بكر لم ينكروه بل قال له سعد بن عبادة : « صدقت » . ولا يعاب الغافل إن ذكِّر فرجع إلى الحق فلا مجال إذن للطعن في موقف الأنصار ، ولقد استطعنا بعد دراسة الموقف من جميع نواحيه وتحليل ما قيل في مؤتمر السقيفة أن نستخلص رأيًا نقوله ونحن مطمئنون .

إن الأنصار لم يكن هدفهم الأصيل من اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة أن يعقدوا البيعة لسعد بن عبادة بل هم كمجموعة من المسلمين الذين دهتهم مصيبة موت النبي ﷺ رأوا أن الواجب يملي عليهم أن يناقشوا موضوع الخلافة بعد النبي ، ويعرفوا موقفهم الصحيح منه ، فاجتمعوا ليهيئوا أنفسهم لرأي موحد يعبر عن وجهة نظرهم ، عندما يضمهم اجتماع أكبر مع إخوانهم المهاجرين يعقد في مسجد

الرسول ﷺ ، حيث هو المكان المعهود لمناقشة كل أمر خطير ، أما موقف سعد بن عبادة فكأني به وقد أخرجه قومه من بيته ليشاركهم الرأي في هذا الأمر الخطير قد رأى جمع الأنصار على هذه الصورة ، فأثار في نفسه التطلع إلى الإمارة ، وظن أنهم ما أخرجوه إلا لهذا ، فخطبهم خطبته السابقة ليثير حماسهم ، ولكنهم قابلوها مقابلة خيبت أمله في الإمارة ، ولم تحدث فيهم الأثر الذي كان يرجوه ، والأدلة على رأينا هذا ما يأتي :

أولًا : إن الأنصار حين سمعوا خطبة سعد لم يتقدم فرد واحد منهم ويضع يده في يده مبايعًا بالإمارة ، وما يقال من أن الأنصار لم يكونوا حزبًا واحدًا بل كانوا منقسمين إلى أوس وخزرج وهذا هو الذي جعلهم يتأخرون في عقد البيعة لسعد لما كان بين الفريقين من المنافسة فإن هذا القول مردود عليه بأنه لو كان الأوس هم الذين أخَّروا البيعة ، فلماذا لم تتقدم مجموعة من الخزرج أهل سعد وعشيرته وتعقد له بيعة ، وتضع الأوس والمهاجرين أمام الأمر الواقع ؟! .

ولكن تأخر الفريقين معًا دليل واضح على أنهم كانوا غير مهيئين لعقد البيعة ولو كانوا مهيئين نفسيًّا لبيعة سعد وتقدم فرد واحد للمبايعة لتتابع القوم جميعًا ؛ لأن المعهود في مثل هذا الموقف أنه إذا تقدم فرد وكسر حدة البداية فإن الجمع الباقي ينخرط وراءه بسرعة ، وهذا ما حدث عند

مبايعة عمر لأبي بكر ، فقد تابعه الناس جميعًا مبايعين حتى ازدحم بهم المكان .

فالأنصار إذن وقفوا من سعد وبيعته هذا الموقف ؛ لأنه فاجأهم بما لم ينتظروا منه .

ثانيًا : أن كلام خطيب الأنصار السابق : أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين... إلخ - يدل دلالة واضحة على أن الأنصار كانوا يرون أن الخلافة من حق قريش .

ثالثًا : أن كلام بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي الذي دعا فيه الأنصار إلى مبايعة أبي بكر حتى أنه سبق عمر - في بعض الروايات - يدل ، أيضًا ، على أن الأنصار لم يجتمعوا لعقد البيعة لسعد .

رابعًا : أن اجتماع الأنصار في السقيفة ، في حد ذاته ، دليل على أنه لم يكن الغرض منه عقد البيعة لسعد ؛ إذ لا يتصور أن يستطيع الأنصار عقد البيعة على هذه الصورة التي كانوا عليها في السقيفة دون علم المهاجرين وحضورهم ، بل المعقول أن ينتظر الأنصار حتى يفرغ المسلمون من دفن رسول الله ﷺ ويعقدوا اجتماعًا عامًّا يضمهم والمهاجرين ويعرضوا وجهة نظرهم ، ويطالبوا بحقهم في الخلافة إن كان لهم حق ، أما اجتماعهم بمفردهم على تلك الصورة فهو اجتماع تمهيدي لتهيئة

نفوسهم لمقابلة إخوانهم المهاجرين وليناقشوا هذا الأمر ومدى أحقيتهم فيه ، وهل هو لهم أو للمهاجرين .

أما فكرة أخذ البيعة فهي فكرة طارئة طرأت على ذهن سعد لما رأى قومه يحيطون به فظنها فرصة ، ولكن الواقع أثبت أنها كانت فكرة غير سديدة .

خامسًا : إن مجيء عويم بن ساعدة وعاصم بن عدي الأنصاريين إلى عمر وتبليغه باجتماع الأنصار يشعر بأن الأنصار لم يجتمعوا لعقد البيعة ، وإنما اجتمعوا للتشاور فقط ، فلما رأى هذان الرجلان الصالحان طموح سعد إلى الخلافة فزعا إلى عمر وأبلغاه بذلك ؛ حرصًا منهما على وحدة المسلمين ومصلحتهم .

سادسًا : هناك روايات صريحة في أن الأنصار اجتمعوا للتشاور فقط لا لأخذ البيعة ، من ذلك : ما يرويه أبو بكر ابن العربي حيث قال : « واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون » [1] .

فهذه الأدلة مجتمعة تجعلنا نعتقد أن الأنصار لم يكن هدفهم من اجتماع السقيفة عقد البيعة ، وإنما كان هدفهم التشاور والوصول إلى رأي موحد ريثما يجتمعون مع إخوانهم المهاجرين ، ومصلحة الإسلام عندهم أولى من كل

---

(١) العواصم من القواصم (ص٤٣) .

شيء سواها ، وبذلك تنهار كل التهم التي وجهت إليهم ، وتنزاح جميع الشبه التي راودت المؤرخين نحوهم رضوان اللّه عليهم أجمعين .

* * *

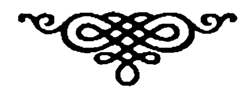


وَبَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه

دِراسَةٌ نَقْدِيَةٌ



كيف بويع أبو بكر ؟



البيعة الخاصة في السقيفة

قلنا في الفصل السابق إن الأنصار أسرعوا إلى عقد اجتماع لهم في سقيفة بني ساعدة ؛ للتشاور في أمر الخلافة ، وبيَّنا أنهم لم يكن هدفهم من الاجتماع عقد بيعة لسعد بن عبادة ولا لغيره ، وإنما كان هدفهم التشاور وتبادل الرأي ، استعدادًا لاجتماع أكبر يضمهم وإخوانهم المهاجرين ، ولكن الموقف تطور تلقائيًا ، لطموح سعد في الإمارة ، ولما وصل خبرهم إلى المهاجرين حضر إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ﷺ ، ودارت بين الفريقين مناقشة ، وعرض كل منهم وجهة نظره مدعمة بالأدلة التي يراها مؤيدة له .

وكانت وجهة نظر الأنصار في أحقيتهم بالخلافة - كما جاء على لسان سعد بن عبادة - أنهم أصحاب فضل وسابقة في الدين ، ليست لقبيلة من العرب وأنهم ضحوا في سبيل الدعوة ، ودان بأسيافهم لهذا الدين من لم يكن يدين على حد تعبير أحدهم ، ولعلهم كانوا يستندون إلى تصريحات للرسول ﷺ ظنوها تدعم موقفهم في الخلافة ، وذلك مثل قوله ﷺ : « **لو سلك الناس واديًا ، وسلك الأنصار واديًا ، سلكت وادي الأنصار** » ، وقوله : « **لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار** » إلى غير ذلك من التصريحات التي رويت عن الرسول ﷺ في شأن الأنصار .

ولما جاء دور المهاجرين لعرض وجهة نظرهم على لسان أبي بكر ﷺ ، بدا أن حجتهم أقوى ، وأدلتهم أوضح في أحقيتهم بالخلافة ، وكان مما قال : « أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس ، إسلامًا ، وأكرمهم أحسابًا ، وأوسطهم دارًا ، وأحسنهم وجوهًا ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحمًا برسول الله ﷺ ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [التوبة : ١٠٠] نحن المهاجرون ، وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء ، أنصارنا على العدو ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيرًا . والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا ، فأنتم أحب الناس إلينا ، وأكرمهم علينا ، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين ، فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »[1] .

وقال أبو بكر أيضًا : ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « **لو سلك الناس واديًا ، وسلك الأنصار واديًا ، سلكت وادي الأنصار** » ، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم** » ، فقال له

---

(١) عصر الصديق (ص ٣١) .

سعد : « صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » (١) .

وكان من كلام أبي بكر أيضًا : إن النبي ﷺ أوصانا بكم ، وأمرنا أن نقبل من محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ، ولو كانت الإمارة فيكم ، لم تكن الوصاية بكم . وقال : « أما بعد يا معشر الأنصار ، فإنكم لا تذكرون منكم فضلًا إلا وأنتم له أهل ، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش » (٢) .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : « يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول اللَّه ﷺ ، قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ » فقالت الأنصار : « نعوذ باللَّه أن نتقدم أبا بكر » (٣) .

وقال أبو عبيدة ﷺ : « يا معشر الأنصار ، كنتم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدَّل وغيَّر » (٤) .

على هذا الوجه الجميل ، وتلك الصورة الرائعة دارت المناقشة في سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار ﷺ ، وعرضت وجهات النظر بأسلوب مهذب وعبارات سامية وتبودلت الكلمات والخطب في أدب جم ، وورع وتقًى

---

(١) العواصم من القواصم هامش (ص ٤٥) .

(٢) الطبري (٣/٢٠٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (١/٣٣٨) .

(٤) الطبري (٣/٢٢١) .

يليق بأصحاب النبي ﷺ ، فانظر إلى قول أبي بكر : « أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء ... » ، وقوله : « آويتم وواسيتم ، فجزاكم اللّٰه خيرًا . واللّٰه ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا ، فأنتم أحب الناس إلينا ، وأكرمهم علينا » ، وانظر إلى قول أبي عبيدة ﷺ : « يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدَّل وغيَّر » .

وانظر كيف أجاب الأنصار عمر ﷺ عندما قال لهم : « أيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ » ، فقالوا : « نعوذ باللّٰه أن نتقدم أبا بكر » .

أي أدب هذا ؟ فهل ترى من كلمة نابية تأباها الأذن ؟ وهل ترى من تعبير جاوز الحق والقصد والصواب ؟ إن العجب كل العجب ممن يروي عن أصحاب محمد ﷺ غير هذا ، وينسب إليهم ما لا يليق بهم ، من السب والشتم ، وتبادل كلمات التهديد والوعيد ، وهم – رضوان اللّٰه عليهم – برآء من كل هذا ، بعيدون عن الصغائر والضغائن ، أدَّبهم نبيهم فأحسن تأديبهم .

بعد أن وضحت الأمور ، وظهرت الأدلة قوية ناصعة على أحقية المهاجرين في الخلافة ، وبقي أن يقدم المهاجرون مرشحهم للخلافة ، ليأخذوا له البيعة – ظهرت خليقة أخرى من خلائق الصحابة ، رضوان اللّٰه عليهم ، تجلى فيها الإيثار ، ونكران الذات ، والتواضع . على أروع ما يكون ،

فقال أبو بكر : « هذا عمر وهذا أبو عبيدة ، فبايعوا أيهما شئتم » ، فقالا : « لا والله ، لا نتولى هذا الأمر عليك ؛ فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، ابسط يدك نبايعك ، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير بن سعد ، عققت عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت ؟ أنفست على ابن عمك الإمارة ؟ فقال : لا والله ولكني كرهت أن أنازع قومًا حقًّا جعله الله لهم ، ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعوا إليه قريش ... قاموا فبايعوا أبا بكر ، فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر »(١) .

على هذه الصورة الإجماعية ، اتفقت كلمة المجتمعين في السقيفة على بيعة أبي بكر ﷺ في نفس اليوم الذي توفي فيه الرسول ﷺ ، فقد روى الطبري أن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد : « أشهدت وفاة رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فمتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة . قال : فخالف عليه أحد ؟ قال : لا ، إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد ، لولا أن الله ﷻ ينقذهم من الأنصار ، قال : فهل قعد أحد من

(١) الطبري (٣/٢٢١ ، ٢٢٢) .

المهاجرين ؟ قال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم » [1] .

* * *

---

(١) الطبري (٢٢١/٣ ، ٢٢٢) .

البيعة العامة في المسجد

هذه البيعة التي تمت للصديق ﷺ في سقيفة بني ساعدة يسميها المؤرخون : « البيعة الخاصة » ؛ لأن الذين حضروها وبايعوا أبا بكر كانوا قلة بالنسبة إلى المسلمين الموجودين في المدينة في ذلك الوقت ، وكانت بيعة السقيفة على غير انتظار ، فكان المفروض أن ينتظر المسلمون حتى يفرغوا من دفنهم النبي ﷺ ، ثم يجتمعوا في المسجد حيث المكان المعهود لاجتماعهم للتشاور في كل أمر مهم - لاختيار خلف للنبي ﷺ ، ولكن لما أسرع الأنصار لعقد الاجتماع في السقيفة ، تطور الموقف تلقائيًا ، حتى رأى الصحب الكرام أن الحكمة تفضي أن يحكموا أمر البيعة قبل أن يخرجوا من السقيفة ؛ منعًا لأي خلاف ، وقطعًا لدابر أية فتنة ، فربما تدخل في الموقف عوامل خارجية - خصوصًا وأن عدد المنافقين بالمدينة كان كثيرًا - قد تفسد على المسلمين أمرهم .

وكان ما صنعه الصحابة ﷺ في السقيفة هو عين الصواب والرشد والسداد ، وغاية ما يمكن عمله ، لجمع الكلمة في ساعة هي من أقسى الساعات وأخطرها على الإسلام والمسلمين ، وإن بيعة أبي بكر - في رأيي - من أيمن الأمور التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ ، وأكثرها خيرًا وبركة على الإسلام والمسلمين .

ولقد روي عن عمر ﷺ أنه قال : « وإنا والله ما وجدنا أمرًا هو أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضى ، أو نخالفهم فيكون فساد » (١) .

بعد هذه البيعة الخاصة التي تمت في سقيفة بني ساعدة ، رأى أبو بكر الصديق ﷺ وهو الرجل البعيد النظر ، أنه لا بد من عرض الأمر على المسلمين جميعًا ، لتتم البيعة بطريقة شورية ديمقراطية أوسع نطاقًا ، فدعا الناس إلى اجتماع مهم في المسجد . روى الطبري عن أنس بن مالك قال : « لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ، ما كانت إلا عن رأي وما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهدًا عهده إليّ رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ، حتى يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوا ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة (٢) .

---

(١) الطبري (٢٠٦/٣) . (٢) الطبري (٢١٦/٣) .

على هذه الصورة تمت البيعة العامة بطريقة شورية ديمقراطية ولم يحدث أن أحدًا من الحاضرين في المسجد اعترض على بيعة أبي بكر أو خالف عنها ، بل الجميع رضي وبارك هذه البيعة ، وكيف لا يكون ذلك وهم قد اجتمع أمرهم على خيرهم بعد نبيهم كما قال عمر [١] .

كانت إذن بيعة أبي بكر بيعة شورية ديمقراطية تمت عن انتخاب حر من المسلمين ، حتى إن بعض المستشرقين لم يستطع أن ينكر هذه الحقيقة فيقول السير توماس أرنولد : « وكيف ما كان الأمر ، فقد وجد بصورة لا تقبل الشك نوع من الانتخاب فيما يتعلق بالخلفاء الأربعة الأولين ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وليس هناك أي تعاقب وراثي ، ولم يتأثر اختيار هؤلاء الخلفاء بأي اعتبار من نسبة أو قرابة » [٢] .

فهذه شهادة مستشرق بعيد عن الإسلام يعترف بأن بيعة أبي بكر كانت نتيجة انتخاب مباشر من زعماء الأمة ، فهل يمكن أن نسمع لمن يقول : « إن طريقة بيعة أبي بكر لم تكن اختيارًا بالمعنى الصحيح » [٣] ؟! إن هذا الكلام غني عن التعليق ، أو هو لا يستحق التعليق .

بعد أن انتهى عمر من كلامه في المسجد ودعا المسلمين إلى بيعة أبي بكر وتمت البيعة - كان على الخليفة الجديد أن

---

(١) الطبري (٣/٢١٠). (٢) الخلافة (ص ٩) .

(٣) السقيفة (ص ١٠٥) .

يحدث الناس عن منهجه في الحكم ويشرح لهم طريقته وخطته التي سيسير عليها ، حتى تطمئن نفوسهم وترتاح قلوبهم ، ولقد جاءت الكلمة التي ألقاها فيهم الصديق ﷺ ، آية في الحكمة وفصل الخطاب ، وجاءت حاوية لأقصى ما يتطلعون إليه وغاية ما تصبو إليه نفوسهم .

قال أبو بكر بعد أن حمد اللّٰه وأثنى عليه : أما بعد ، أيها الناس ، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء اللّٰه ، والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء اللّٰه ، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل اللّٰه ؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم اللّٰه بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم اللّٰه بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت اللّٰه ورسوله ، فإن عصيت اللّٰه ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم اللّٰه (١) .

لا أظنني في حاجة إلى تعليق على خطاب الصديق ، الذي أحاط بجميع الأصول التي يقوم عليها حكم صالح .

ولكنني أقول : إن الأهمية العظمى ، في نظري ، لخطاب الصديق ﷺ ليست في بلاغته وما تضمن من معانى جليلة وكريمة ، وما حواه من وعود وعهود فحسب ، فكثيرًا ما

---

(١) الطبري (٣/٢١٠) .

يوجه الساسة والحكام لأول عهدهم بالحكم خطبًا إلى محكوميهم تحوي كثيرًا من الوعود والعهود والالتزامات وأوجه الإصلاح التي ينوون القيام بها ، ولكن كثيرًا ما يُكذِّب فعلُهم قولَهم . أما العظمة في خطاب الصديق ﵁ فتكمن في إخلاصه في كل كلمة قالها ، ووفائه في كل ما وعد به ، وألزم به نفسه أمام الأمة ، فلم يخل بوعد ولا عهد ، ولا عَرف غرورُ السلطة إلى نفسه سبيلًا ، فكان ﵁ حاكمًا مثاليًا من طراز لم تألفه البشرية في تاريخها الطويل ، وظل أبو بكر وفيًا لعهده منذ أن استلم قيادة الأمة من المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ إلى أن سلمها إلى عمر الفاروق ، رضي الله عنهما ، وجزاهما خيرًا .

* * *

المؤامرة المزعومة

ونحن نتحدث عن كيفية مبايعة أبي بكر ﷺ ، نرى أنه من اللازم أن نتحدث عما زعمه بعض المستشرقين من أن خلافة أبي بكر كانت نتيجة مؤامرة بينه وبين كل من عمر ابن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ، على تعاقب الحكم وتداوله واحدًا بعد الآخر .

فبرغم ما قررنا من أن بيعة أبي بكر ﷺ تمت بطريقة شورية ديمقراطية نتيجة انتخاب مباشر من زعماء الأمة ، فإن هذه الأوهام وجدت طريقها إلى أذهان بعض المستشرقين ، فزعموا أن أبا بكر ﷺ وصل إلى الخلافة بناءً على تفاهم واتفاق سابق بينه وبين عمر وأبي عبيدة ، ويستدلون على ذلك بأن عمر وليها بعد أبي بكر ﵄ بعهد منه ، حين آلت إليه الخلافة كان أول شيء صنعه ، هو عزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش وتعيين أبي عبيدة قائدًا عامًّا على جيوش المسلمين ، ثم لما حانت وفاة عمر قال : « لو كان أبو عبيدة حيًّا لوليته » .

يقول السير توماس آرنولد :

« وحالما وصلت أخبار وفاته - النبي ﷺ - إلى آذان أخلص أتباعه وأول من آمن به ، أبي بكر وعمر وأبي عبيدة » فقد عملوا حالًا على تأمين انتخاب أبي بكر (طبق

الخطط التي رسموها بكل تأكيد) عندما توقعوا قرب أجل مؤسس عقيدتهم والتحاقه بالرفيق الأعلى ، فعندما سمعوا أن بعض زعماء الخزرج (وهي أكبر القبائل عددًا في المدينة أيدت قضية الإسلام) مجتمعون لانتخاب رئيس للمسلمين ، أسرعوا إلى السقيفة التي يعقد فيها الاجتماع ، وحملوا المجتمعين ، بعد مناقشات طويلة ، على انتخاب أبي بكر ، ومن الواضح أن الحضور كانوا قلائل ، وعندما أخذ أبو بكر في الصباح مكانه على المنبر في الجامع حيث اعتاد النبي الراحل أن يخاطب أتباعه - أهاب عمر بالمؤمنين ، أن يقسموا يمين الولاء لأبي بكر ، وجدد أولئك الذين كانوا في اجتماع الليلة الماضية يمينهم الذي أقسموه قبلُ ، وتبعهم بقية المؤمنين » [١] .

أول شيء نسجله على السير توماس آرنولد هو التناقض الواضح بين آرائه واستنتاجاته فقوله هنا عن رسم الخطط والتفاهم بين الرجال الثلاثة - أبي بكر وعمر وأبي عبيدة - يناقض تمامًا اعترافه بأن بيعة الخلفاء الأربعة الأولين تمت بطريق الانتخاب المباشر دون التأثر بأي اعتبار من نسبة أو قرابة ، فهو يقول بعد صفحة واحدة من هذا الكلام .

« وكيفما كان الأمر فقد وجد بصورة لا تقبل الشك نوع من الانتخاب فيما يتعلق بالخلفاء الأربعة الأولين ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وليس هناك أي تعاقب وراثي ،

---

(١) الخلافة (ص ٧ ، ٨) .

ولم يتأثر اختيار هؤلاء الخلفاء الأربعة بأي اعتبار من نسبة أو قرابة [١] ، ونريد أن نسأل السيد توماس آرنولد - إذا كان يعترف بأن اختيار عمر بعد أبي بكر قد تم بطريق الانتخاب ، ولم يتأثر بأي اعتبار ، فما الخطط التي اتفق عليها الرجال الثلاثة بكل تأكيد في نظره ؟ ومن أين أتى بهذا التأكيد ؟ ومن أي طريق علمه ؟ ثم ما الضرورة لوضع الخطط ما دام الأمر يئول إلى الانتخاب المباشر ؟

والسيد توماس آرنولد يعترف بأن الخطط التي زعمها قد رسمت بين الرجال الثلاثة في نظره وأحكم أمرها قبل وفاة الرسول ﷺ .

ونحن نقول له : إن الرجال الثلاثة الذين نَسَبْتَ إليهم رسم الخطط وأكدت ذلك دون أن يكون لك سند من التاريخ أو من الواقع ، هم أبعد الناس عن رسم الخطط والتآمر ، فليس من خلقهم ولا من طبائعهم أن يتكلموا في شيء ، أو يدبروا أمرًا خطيرًا كهذا بعيدًا عن نبيهم ومعلمهم ﷺ ، فهم ثلاثتهم صفوة أصحابه ، أولهم الصديق رضي الله عنه الذي سماه اللّٰه تعالى الصديق على لسان جبريل ، فقد سئل الإمام علي رضي الله عنه عن أبي بكر فقال : « ذلك امرؤ سماه اللّٰه الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد » [٢] .

---

(١) الخلافة (ص ٩) . (٢) تاريخ الخلفاء (ص ١٢) .

وثانيهم هو عمر ، الفاروق الذي قال عنه النبي ﷺ : « **عمر معي وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر حيث كان** » [(١)] .

وأبو عبيدة هو ثالث الرجال والذي سماه النبي ﷺ أمين هذه الأمة حينما جاءه قوم ، فقالوا : ابعث معنا أمينًا ، فقال : « **لأبعثن معكم أمينًا حق أمين** » فبعث معهم أبا عبيدة [(٢)] ولكن توجيه سهام المستشرقين إلى قادة الأمة الإسلامية وزعمائها وموضع فخرها وعزها ، هو أمر مقصود ومدروس بعناية وخبث ، ليشككوا الأمة في أخلاق رجالها العظام .

نقول لآرنولد : على فرض أن الرجال الثلاثة الذين تحدثت عنهم قد اتفقوا على خطط معينة بشأن الخلافة والرسول ﷺ ، ما زال بينهم على قيد الحياة ، فهل كانوا يأمنون أن ينزل الوحي على الرسول ﷺ ، ويعلمه بما اتفقوا عليه ؟ وكيف يواجهون النبي ﷺ بعد ذلك ؟ أيستطيعون مواجهته ليقولوا له لقد اتفقنا وتآمرنا على خلافتك قبل أن تفارقنا ؟ ثم هل يأمنون - إن هم اتفقوا على شيء - أن ينزل الوحي على الرسول ﷺ بتعليمات محددة بشأن الخلافة ، أو يأمنون أن الرسول نفسه يوصي وصية معينة بمن يخلفه من بعده ، ويبطل عليهم تدبيرهم وخططهم التي أتعبوا أنفسهم في رسمها وإحكامها ؟

ثم إن كل الروايات تؤكد أن أبا بكر ﷺ كان خارج المدينة

---

(١) الطبري (٣/١٩٠) .   (٢) الطبري (٣/٢٠٢) .

حين وفاة الرسول ﷺ ؛ لأنه رأى أن الرسول في خفة من المرض فاستأذنه ليذهب إلى مسكنه بضواحي المدينة ، فلو أنه كان يتوقع وفاة النبي ﷺ ، لما غادر المدينة ؛ إذ وجوده فيها في هذا الحال من ألزم اللوازم ، لتنفيذ الخطة التي اشترك في تدبيرها مع صاحبيه ، قبل أن يسبقهم غيرهم .

إن هذا الوهم الذي وقع المستشرقون وأمثالهم فريسة له ، أوقعهم فيه جهلهم بطبيعة الإسلام ومبادئه وخلق رجالاته ، فهم يطبقون الأساليب المعهودة بين رجال السياسة المعاصرين في مثل هذه المواقف من التدبير والاحتيال والتآمر ، يطبقون هذه الأساليب على رجال العصر النبوي الكريم ، دون أن يدرسوا ظروف أولئك الرجال وطبيعة المدرسة المحمدية التي تربوا فيها ، فلا بقيت للإسلام فضيلة إن ذهبت عن أبي بكر وعمر وأبي عبيدة .

وجهْلُ أولئك المستشرقين بالتاريخ الإسلامي جعلهم يستقون بعض معلوماتهم من كتب الشيعة وغيرهم من المذاهب المتطرفة ، ومن الكتب المليئة بالخرافات والإسرائيليات والأباطيل ، التي دفع إليها التعصب ضد الإسلام دون أن يكون لها سند من الواقع أو من التاريخ .

ثم أخيرًا روح التعصب ضد الإسلام قد ملأ عقول المستشرقين أنفسهم ، وجعلتهم يغمضون أعينهم عن الحقائق ، ويعمدون إلى ترويج الخرافات والأباطيل ؛ كيدًا للإسلام والمسلمين .

فالرجال الثلاثة الذين يزعم المستشرق آرنولد أنهم خططوا وتآمروا - إنما أسرعوا إلى سقيفة بني ساعدة ، ليصونوا الدين ويجمعوا كلمة المسلمين ، لمصلحة المسلمين جميعًا لا لمصلحتهم وحدهم ، فكل واحد منهم كان أزهد في الخلافة من زميليه ، مع أنهم ثلاثتهم أحق الأمة بها ؛ لما روي عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حين سئلت من كان رسول مستخلفًا لو استخلف ، فقالت : « أبو بكر » فقيل لها : ثم من ؟ قالت : « عمر » ، فقيل لها : ثم من بعد عمر ؟ قالت : « أبو عبيدة بن الجراح » ثم انتهت إلى هذا [1] ، ولكن برغم هذا كان كل واحد منهم حريصًا على أن ينجو بنفسه منها ؛ لأنه يراها مسؤولية خطيرة ، فأبو بكر يقول : « واللّٰه ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة ، ولا سألتها اللّٰه في سر ولا علانية » [2] .

وعمر يقول : لما قال أبو بكر : « هذا عمر وهذا أبو عبيدة ، فبايعوا أيهما شئتم ، يقول عمر : ما كرهت من كلامه شيئًا غيرها ، كان واللّٰه أن أقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم ، أحبُّ إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر [3] . وأبو عبيدة يقول لعمر حين قال له : ابسط يدك أبايعك فأنت أمين هذه الأمة على لسان نبيها :

---

(١) صحيح مسلم (١٥/١٥٤) .

(٢) الرياض النضرة (١/١٦٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (١/٣٣٧) .

ما رأيت لك فهة [١] قبلها منذ أسلمت ، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين [٢] .

هذه هي أخلاق الرجال الثلاثة ، يشهد لهم بها تاريخهم وسلوكهم ، رضوان الله عليهم ، فأبو بكر تولاها برضا الجميع ؛ لأنه أتقاهم وأفضلهم وأكفأهم لها ، وعمر تولاها بعد أبي بكر ﷺ بجدارته وكفايته ، ولم يكن في المسلمين يومئذ أكفأ من عمر وأكثر قدرة على تحمل تلك المسؤولية الجسيمة ، ولو كان أبو عبيدة حيًا وولاه عمر - كما روي عنه - لكان عمر مصيبًا غاية الصواب ، ولأضاف إلى فضائله ومكارمه فضيلة ومكرمة أخرى ، ولكنها إرادة الله عجلت بأبي عبيدة قبل عمر ، ورضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم .

ثم دراسة سلوك أبي بكر وعمر ﷺ وطريقة معيشتهما وهما يومئذ رؤساء لأكبر دولة ، تقطع ألسنة الذين يروجون روايات الخطط والتآمر ؛ لأن الذي يتآمر يكون همه الحصول على السلطة بأي شكل ، ليعيش عيشة الملوك ، ويتسلط على رقاب البشر ، ولكن أين أبو بكر وعمر من هذا ؟ فعندما توفي أبو بكر ﷺ ولم يجدوا في بيته شيئًا من حطام الدنيا قال عمر : « رحم الله أبا بكر ، فقد أتعب من بعده » . وعمر نفسه ترك الدنيا ولم يترك من ورائه شيئًا ذا بال يمكن أن يورث ، وعاش

---

(١) أي سقطة .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٣٨/١) .

كل منهما كأقل فرد من أفراد الأمة .

وهذه شهادة رجل غير مسلم عن رجال العصر الرشيد وحكومته ، يقول جورجي زيدان : « لم يكن للإسلام في عصر الراشدين دولة سياسية ، بل هي خلافة دينية أساس أحكامها التقوى ، والرفق والعدل ، مما لم يسمع بمثله في عصر من العصور ، ورجل هذا العصر ، بل رجل الإسلام على الإطلاق - عمر بن الخطاب - فإن ما يروونه من أعماله وأحكامه يندر اجتماعه في البشر ومناقبه مدونة في الكتب ومشهورة ، وأما أبو بكر فلا يقل عظمة عنه لولا قصر مدة حكمه ، ويكفيه من الأثر في الإسلام قتاله أهل الردة » [1] .

ويقول صاحب الفخري : « واعلم أنها - أي دولة الخلفاء الراشدين - لم تكن من طرز الدنيا وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبه ، والحق في هذا أن زيها قد كان زي الأنبياء ، وهديها هدي الأولياء ، فتوحها فتوح الملوك الكبار ، فأما زيها فهو الخشونة في العيش والتقلل في المطعم والملبس ، كان أحدهم يمشي في الأسواق راجلًا ، وعليه القميص الخلق المرقوع إلى نصف ساقه .. وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم » [2] .

والخلاصة : أن هؤلاء الرجال كانت الدنيا وما فيها من

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي (٣٧/٤) .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية .

زخرف ونعيم لا تساوي عندهم شيئًا ، فهم ينتظرون ما عند اللَّه ، ويعتقدون أنه أفضل وخير وأبقى ، لذلك كان عملهم خالصًا لوجه اللَّه .

يقول العقاد : « فإذا كان انتخاب أبي بكر للخلافة هو رأي قريش الذي لا محيد عنه ، وهو نيَّة النبي التي ظهرت من أعماله وإشاراته ، فما الحاجة إلى التدبير بين السيدة عائشة وأبيها ، أو بين الرجال الثلاثة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ؟ ومن أين يأتي تخيل التدبير ولا موجب له من الفروض ولا من الإسناد [١] ؟!

* * *

(١) عبقرية الصديق (ص ٢٦) .

موقف عائشة رضي الله عنها من بيعة أبيها

بقيت شبهة نريد أن ندفعها في قضية بيعة أبي بكر رضي الله عنه وهي أن إمامة أبي بكر في الصلاة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت أبرز مرشحاته للخلافة - كانت تدبيرًا من عائشة رضي الله عنها .

وهذه فرية لا تقل عن سابقاتها زيفًا وبهتانًا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا ينطق عن الهوى ، ولا يصدر في قوله وفعله عن تدبير من أحد ، لا عائشة ولا غيرها ، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى أن أبا بكر أحق بالخلافة وأجدر بها من كل شخص سواه ؛ لسنّه وسابقته في الدين ومركزه بين الصحابة وصفاته العديدة التي لا تتوافر لغيره ، فرشحه لذلك بتقديمه للصلاة - فلا لزوم إذن لتدبير من عائشة ولا مسوغ له .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى أن أبا بكر ليس كفئًا للخلافة ، وأن هناك من هو أفضل منه وأصلح لهذا المنصب ، ثم يستجيب لتدبير عائشة ويجاملها على حساب مصلحة المسلمين ، فإن هذا يعتبر خيانة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يقول : « **من استعمل رجلًا على جماعة من رعيته ، وفيهم من هو خير منه ، فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين** » ، وكيف يخون النبي أمته ، صانه الله من ذلك ، وهو الذي اشتهر بأنه الصادق الأمين ، حتى قبل أن يرسل إليه ؟ لا يقول بذلك إلا منافق أو كافر لا يؤمن بالله ورسوله .

ومع أن إمامة أبي بكر رضي الله عنه المسلمين في الصلاة بأمر

النبي ﷺ أمر متواتر بإجماع الصحابة ، حتى أصبح من الحقائق التي لا تقبل الجدل ، إلا أن بعض المرجفين يحاولون - دون جدوى - أن يقلبوا الحقائق والمسلمات ، فيقول صاحب السقيفة : « ولعل أبا بكر كان مخدوعًا في تبليغه أمر النبي ، كما جاء في الحديث أن عبد اللّٰه بن زمعة خدع عمر بن الخطاب ، فبلغه أمر النبي بالصلاة . وأحسب أن أصل الواقعة أن النبي ﷺ أمر الناس بالصلاة لما تعذر عليه الخروج من دون أن يخص أحدًا بالتقديم فتصرف متصرف وتأول متأول ، ولما بلغ ذلك أسماع النبي ، التجأ أن يخرج يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض من الوجع ، فصلى بالناس جالسًا صلاة المضطرين ، ليكشف للناس هذا التصرف الذي أسند إليه .

واستغرب توبيخه لعائشة لما راجعته عن أبيها ، إذ قال لها : « **إنكن لأنتن صواحب يوسف** » .. ومن هنا يتطرق الشك أيضًا في صحة تقديم النبي لأبي بكر ، ويبدو أنه كان من أمرها وتدبيرها [١] .

وقصة خداع عبد اللّٰه بن زمعة - التي يشير إليها المؤلف - هي آكد الروايات على إمامة أبي بكر ﷺ بأمر النبي ﷺ ، ونص الرواية أن عبد اللّٰه بن زمعة خرج من عند النبي فإذا عمر في المسجد وأبو بكر غائب ، فقال : يا عمر قم فصل بالناس ، فتقدم فكبر وكان رجلًا مجهرًا ، فلما

---

(١) السقيفة (ص٣٨ ، ٣٩) .

سمع رسول الله ﷺ صوته ، سأل : « **فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون** » ولام عمر عبد الله بن زمعة قائلًا : ويحك ، ما صنعت بي يا ابن زمعة ؟! والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت . قال ابن زمعة : والله ما أمرني رسول الله ﷺ بشيء ، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس (١) .

فهذه الرواية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن إمامة أبي بكر للمسلمين بأمر النبي حقيقة واقعة ؛ حيث أبى إمامة عمر ؛ لأن الله يأبى والمسلمون إلا أبا بكر .

أما التعبير بأن أبا بكر كان مخدوعًا وابن زمعة خدع عمر ، فهو تعبير بعيد عن حدود الأدب ؛ لأن الخداع ليس من طباع الصحابة ، ولأن ابن زمعة لا مصلحة له في أن يخدع عمر أو غيره ، ولكن كل ما في الأمر أن الرجل عرف مقام الصحابيين الكريمين ، وعرف ترتيبهما ومنزلتهما عند النبي ﷺ ، فإذا حضرت الصلاة والنبي ﷺ مريض وأبو بكر غائب ، فليكن عمر هو الإمام لا غيره ، هكذا فهم ابن زمعة وهو كان موفقًا في فهمه ، وهذا ما اعتذر به لعمر قائلًا : حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس ، ثم إن عمر نفسه لم يبد عليه شيء من الغضب أو

---

(١) عبقرية الصديق (ص ١٦ ، ١٧) .

التأثر لما قال النبي ، فهو يعرف مقام الصديق وفضله ، ويعترف له بالأولوية . ولعمري إنها لأخلاق عالية ، وإنما يعرف أهل الفضل من الناس أصحاب الفضل .

أما عن عائشة رضي الله عنها التي يزعم صاحب السقيفة أنها دبرت أمر إمامة أبيها في الصلاة لترشحه للخلافة ، فكل الروايات تؤكد أنها راجعت النبي ﷺ لتصرف الأمر عن أبيها ، ولم تكن مدبرة له .

فلقد روى البخاري عنها رضي الله عنها أنها قالت : « لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته ، إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا ، ولا كنت أرى أن يقوم أحد مقامه ، إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل رسول الله ﷺ عن أبي بكر »[1] . رواه ابن عمر وأبو موسى وابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ فكيف تتهم من راجعت النبي ﷺ لتصرف الأمر عن أبيها ؛ لأنها لا تود له أن تراه في موقف يتشاءم الناس منه ؛ لأنه سيذكرهم بمرض الرسول ﷺ ووفاته ؟ كيف تُتهم هذه بأنها هي التي دبرت الأمر بإمامته ؟ إن خلق عائشة ودينها وتربيتها ، ومعاشرتها للنبي ﷺ كل ذلك يأبى عليها أن تفعل ذلك فما كانت هذه الأساليب من شأنها ولا من طبعها رضي الله عنها وعن أبيها .

(١) البخاري (١٣١/٥) .

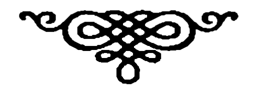


وبيعة أبي بكر رضي الله عنه

دراسة نقدية



المتخلفون عن البيعة



تمهيد

لقد بيَّنا في الفصل السابق أن أبا بكر ﷺ بويع في السقيفة - البيعة الخاصة - ثم بويع في مسجد الرسول ﷺ البيعة العامة . وقلنا إننا لم نقرأ في كتب التاريخ التي روت هذه الحادثة أن أحدًا من الصحابة قام في المسجد وعارض بيعة أبي بكر ﷺ أو استنكرها ، بل أجمع الحاضرون في المسجد على بيعة الصديق ﷺ لاعتقادهم أنه أحق الناس بها ؛ لما اجتمع له من الصفات العديدة التي جعلت كفته راجحة من حيث السن ، والسبق إلى الإسلام ، وشدة ملازمته للنبي ﷺ ، وألفه الناس ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي توفرت له ﷺ .

يقول الجاحظ : « رووا أن أفضل هذه الأمة وأولاها بالإمامة أبو بكر بن أبي قحافة ، وكان أول ما دلهم عند أنفسهم على أفضليته وخاصة منزلته وشدة استحقاقه - إسلامه على الوجه الذي لم يسلم عليه أحد من عالمه وفي عصره » (١) .

والحق أن الإنسان ليحس إحساسًا قويًا أن شخصية أبي بكر ﷺ هي الشخصية الأولى بين الصحابة ، رضوان اللَّه عليهم ، فلا غرابة أن تجتمع كلمتهم على بيعته وتقديمه لمكان القيادة فيهم وقد رأوا النبي ﷺ قدمه ليؤمهم في الصلاة ،

---

(١) العثمانية (ص ٣) .

فقالوا : رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه نحن لدنيانا ؟!

والدليل على أن أبا بكر ﷺ بويع بإجماع - ما رواه الطبري أن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد : أشهدت وفاة رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فمتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة . قال : فخالف عليه أحد ؟ قال : لا إلا مرتد ، أو من قد كاد أن يرتد - لولا أن الله ﷻ ينقذهم - من الأنصار . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تُتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم [(١)] .

ولكن إلى جانب رواية الإجماع هذه يروي بعض المؤرخين أن مجموعة من الصحابة ﷺ تخلفت عن بيعة أبي بكر ﷺ ، فيروي اليعقوبي فيقول : « وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب ، الفضل بن العباس ، الزبير بن العوام ، خالد بن سعيد ، المقداد بن عمرو ، سلمان الفارسي ، أبو ذر الغفاري ، عمار بن ياسر ، البراء بن عازب ، أُبي بن كعب » [(٢)] .

كما يروى أن سعد بن عبادة ﷺ قد تخلف - أيضًا -

---

(١) الطبري (٢٠٧/٣) .

(٢) تاريخ اليعقوبي (١٠٣/٢) .

عن بيعة أبي بكر ، والذي يبدو أن قضية تخلف علي ﷺ وبني هاشم قد نسجها غلاة الشيعة ؛ لما يزعمونه من أن عليًا هو الخليفة بالنص من النبي ﷺ ، ولقد ذكرنا فيما سبق فساد القول بالوصية ، وأوردنا من النصوص الصريحة ما يؤكد أن حديث الوصية موضوع .

وفي هذا الفصل نريد أن نوضح موقف علي من بيعة أبي بكر ﵄ ، وسنكتفي بتوضيح موقف علي ﷺ ؛ لأن الذين تخلفوا معه تخلفوا ممالأة له على حد تعبير اليعقوبي ، فإذا بينا أن عليًا ﷺ بايع أبا بكر ولم يتخلف عنه - فمن غير المعقول أن يظل أنصاره متخلفين ، وقبل أن نتحدث عن موقف علي ﷺ سنتحدث عن قصة تخلف سعد بن عبادة ﷺ عن بيعة أبي بكر ﷺ .

* * *

موقف سعد بن عبادة من بيعة أبي بكر

بينا فيما سبق أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ﷺ وأخرجوا سعد بن عبادة من بيته - وكان مريضًا - ليشاركهم الرأي ، وأن نفس سعد ﷺ طمحت إلى الخلافة ولكن الموقف انتهى على غير ما كان يشتهي ، فهل بايع أبا بكر ﵄ مع المبايعين ، أو أم تخلف ولم يبايع طول حياته ؟! الحق أن لدينا نصوصًا كثيرة ، بعضها صريح في أن سعد بن عبادة بايع أبا بكر في السقيفة ، وبعضها صريح في أن سعدًا لم يبايع أبا بكر ولا حتى عمر ﷺ .

ونحن كما ذكرنا أكثر من مرة أن سبيلنا لترجيح نص على نص ، عند تعارض النصوص ، أن نرجح النص الذي يتفق مع أخلاق الصحابة ﷺ ويليق بمقامهم الرفيع ، الذي وضعهم فيه الله ورسوله ﷺ . وقبل أن نعمد إلى النصوص التي تجمعت لدينا ، وقبل أن نرجح ما نراه يستحق الترجيح - نريد أن نعرف ، من هو سعد بن عبادة وما هو ماضيه في الإسلام ، حتى نستطيع أن نضعه موضعه الصحيح من التاريخ .

هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي ، يجمع المؤرخون على أنه زعيم الخزرج كما كان سعد بن معاذ زعيم الأوس ، وفيهما يروي ابن الأثير في أسد الغابة

فيقول : وفي سعد بن عبادة وسعد بن معاذ جاء الخبر أن قريشًا سمعت صائحًا يصيح ليلًا على أبي قبيس .

فإن يسلم السعدان يصبح محمد
بمكة لا يخشى خلاف مخالف

قال : فظنت قريش أنه يعني سعد بن زيد بن تميم ، وسعد بن هزيم من قضاعة ، فسمعوا الليلة الثانية قائلًا :

أيا سعد سعد الأوس كنت أنت ناصرًا
ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف
أجيبا داعي اللّه وتمنيا
على اللّه في الفردوس مُنية عارف
وأن ثواب اللّه للطالبين الهدى
جنان من الفردوس ذات زخارف

فقالوا هذا سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة [1] .

ولقد شهد سعد بن عبادة بيعة العقبة الثانية ، وكان أحد نقباء الأنصار ، أما عن شهوده بدرًا ففيه خلاف ، يقول ابن حجر في الإصابة :

وشهد سعد العقبة وكان أحد النقباء ، واختلف في شهوده بدرًا ، فأثبته البخاري ، وقال ابن سعد : كان يتهيأ للخروج [2] .

(١) أسد الغابة (٢٨٣/٢ ، ٢٨٤) .
(٢) الإصابة (٨٠/٣) .

ورواية ابن سعد التي يشير إليها ابن حجر - كما جاءت في كتاب الطبقات - هي : قال محمد بن عمر : وكان سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة ، لما أسلموا يكسرون أصنام بني ساعدة ، وشهد سعد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعًا ، وكان أحد النقباء الاثني عشر ، فكان سيدًا جوادًا ، ولم يشهد بدرًا ، وكان يتهيأ للخروج إلى بدر ، ويأتي دور الأنصار ويحضهم على الخروج فمرض قبل أن يخرج ، فأقام ، فقال رسول الله ﷺ : « **لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصًا** » . وروى بعضهم أن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه وأجره (١) .

وعلى أي حال ، إذا كان شهود سعد بدرًا غير مقطوع به فإن ذلك لا يقدح في شخصه ؛ لأن الرسول ﷺ شهد له ، بأنه كان حريصًا على حضورها ، وكفاه شهادة الرسول ﷺ شرفًا وفخرًا .

والمؤرخون يجمعون على أنه شهد أُحُدًا وجميع المشاهد مع الرسول ﷺ ، يروي ابن حجر عن ابن عباس يقول : كان لرسول الله ﷺ في المواطن كلها رايتان ، مع علي راية المهاجرين ، ومع سعد بن عبادة راية الأنصار (٢) .

ويقول ابن الأثير عن سعد بن عبادة : وهو صاحب راية

---

(١) الطبقات ، (٦١٤/٣) ، ط بيروت .
(٢) الإصابة (٨٠/٣) .

الأنصار في المشاهد كلها ، وكان وجيهًا في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها (١) ، وموقفه هو وسعد بن معاذ في غزوة الأحزاب من المواقف الرائعة المشرفة في تاريخ الإسلام ؛ لأنه لما اشتد الكرب على المسلمين وأحدقت بهم جموع الأحزاب من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزاد الخطر - رأى رسول الله ﷺ ، أن يفرق بين جموع الأحزاب بأن يتفق مع عيينة بن حصن على ثلث ثمار المدينة ليرجع بمن معه من غطفان ، وبذلك ينكسر على قريش أمرها ، فاستشار ﷺ في ذلك السعدين رضي الله عنهما فأبيا .

يقول ابن الأثير :

ولما كانت غزوة الخندق بذل رسول الله ﷺ لعيينة بن حصن ثلث ثمار المدينة ، لينصرف بمن معه من غطفان ، واستشار سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة دون سائر الناس ، فقالا : يا رسول الله ، إن كنت أُمرت بشيء فافعله ، وإن كان غير ذلك ، فوالله ما نعطيهم إلا السيف ، فقال رسول الله ﷺ : « **لم أومر بشيء ، وإنما هو رأي أعرضه عليكما** » ، فقالا : يا رسول الله ، ما طمعوا بذلك مناقط في الجاهلية ، فكيف اليوم وقد هدانا الله بك ؟! فسُرَّ النبي ﷺ بقولهما ، وكانت راية رسول الله ﷺ بيد سعد بن عبادة (٢) .

---

(١) أسد الغابة (٢/٢٨٣) . (٢) أسد الغابة (٢/٢٨٤) .

فهذه الحادثة لها دلالتها العظيمة ، فاستشارة الرسول ﷺ لهذين البطلين العظيمين وإفرادهما بالمشورة دون سائر الناس - يدل على ثقته ﷺ فيهما ، وفي سداد رأيهما ، وقوة إيمانهما - وتقديره ﷺ لشخص الرجلين ؛ لأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فاستشارتهما في هذا الظرف العصيب تدل على أنهما جديران بأن يؤخذ رأيهما في الأمور الخطيرة ، وإجابة الرجلين رضي الله عنهما لرسول اللَّه ﷺ فيها ما فيها من قوة الإيمان وأدب الإسلام ، مع شجاعة وقوة نفسية لا تهاب الأعداء ، مهما كان عددهم ، ومهما كانت قوتهم ، فإن كان رسول اللَّه ﷺ قد أمر من اللَّه بشيء ، بطريق الوحي ، فسمعًا وطاعة لأمر اللَّه ورسوله ، وهذا منتهى الإيمان والتسليم ، أما إذا كان هذا رأي تجوز فيه المناقشة وإبداء رأي آخر فالأمر يختلف ، لا نرضى أن نمكن المشركين من ثمار المدينة ورسول اللَّه بيننا وهم لم يطمعوا بذلك في الجاهلية . موقف من أروع المواقف ، ما في ذلك شك ، في هذا الظرف ، المشحون بالأخطار التي تهدد المدينة كما وصفه اللَّه عز وجل في سورة الأحزاب ، ولكنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب جعل من الرجال خلقًا آخر .

هذه بعض الأخبار عن إسلام سعد بن عبادة وقوة إيمانه ، ومركزه عند الرسول ﷺ وبين المسلمين ، ووجاهته ، ورياسته ، وسيادته في قومه ، ومواقفه ضد المشركين ، ومكانه من

الدعوة الإسلامية ، والدفاع عنها بكل ما يملك . ويكفي . أنه كان صاحب راية الأنصار في غزوات الرسول ﷺ وأن الرسول كان كثير الثناء عليه ، وهناك سجية أخرى من السجايا العربية الأصيلة ، أفاضت المراجع التاريخية وكتب التراجم على تمتع سعد بن عبادة بها ، وهي سجية الكرم والجود ، وإذا اجتمع الكرم والجود مع الشجاعة في البيئة العربية فهما الشرف ، كل الشرف ، والسيادة كل السيادة .

جاء في كتاب الإصابة عن سعد بن عبادة ما يأتي : « وكان مشهورًا بالجود هو وأبوه وجده وولده ، وكان لهم أطم ينادى عليه كل يوم : من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة » (١) .

ويقول ابن سعد في الطبقات : وكان سعد لما قدم رسول الله ﷺ يبعث إليه كل يوم جفنة فيها ثريد بلحم ، أو ثريد بلبن أو ثريد بخل وزيت أو سمن ، وأكثر ذلك اللحم فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه (٢) .

وجاء في أسد الغابة عن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال : « **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته** » قال : فرد سعد ردًّا خفيًّا . قال قيس : فقلت : ألا تأذن لرسول الله ﷺ ؟ قال : دعه يكثر علينا من

---

(١) الإصابة (٣/٨٠) .

(٢) أسد الغابة (٢/٢٨٣) .

السلام ، فقال رسول الله ﷺ : « **السلام** » ، ثم رجع رسول الله واتبعه سعد ، فقال : يا رسول الله ، إني كنت أسمع تسليمك فأرد ردًا خفيًا لتكثر علينا من السلام ، فانصرف معه رسول الله ﷺ فأمر له سعد بغسل فاغتسل ، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو روس فاشتمل بها ، ثم رفع رسول الله يديه وهو يقول : « **اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة** » (١) .

وذكر ابن حجر في الإصابة قال : وروى ابن أبي الدنيا من طريق ابن سيرين قال : كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة ، فأما سعد فكان ينطلق بالثمانين (٢) .

نفهم من هذا أن شخصية سعد بن عبادة شخصية عظيمة ، فهو زعيم في قومه في الجاهلية والإسلام ، ثم هو أحد نقبائهم في بيعة العقبة ومن السابقين إلى الإسلام منهم ، ثم هو قوي الإيمان ، متين العقيدة ، شجاع لا يخاف الموت في سبيل الله ، سديد الرأي ، ذو عقل راجح يحترمه الرسول ﷺ ويستشيره في الأمور المهمة ويقبل مشورته ، ويدعو له ولذريته ، ثم هو كريم جواد ذو مروءة عربية أصيلة وكل هذه الصفات تدل على سمو الرجل وعلو مكانته ،

---

(١) أسد الغابة (٢/٢٨٣) .
(٢) الإصابة (٣/٨٠) .

ومتانة خلقه . وسلوكه مع النبي ﷺ يحدثنا أنه لم يحدث منه قط ما يشينه ، أو ينزل من مكانته ، أو يقدح في دينه ، ولم يكن له موقف واحد يدل على الطمع والأثرة ، وحب السلطان والرياسة لذاتها . وبالاختصار كان سعد بن عبادة مسلمًا بكل معاني الكلمة ، فرضي اللّٰه عنه وجزاه عن الإسلام خيرًا .

* * *

بيعة سعد بن عبادة لأبي بكر رضي الله عنهما

لدينا نصوص كثيرة تؤكد أن سعد بن عبادة بايع لأبي بكر رضي الله عنهما في السقيفة البيعة الخاصة .

فقد نقل الحافظ ابن كثير ، في البداية والنهاية من حديث الإمام أحمد ، أن أبا بكر قال للأنصار في سقيفة بني ساعدة : لقد علمتم أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **لو سلك الناس واديًا وسلك الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار** » ، ولقد علمت يا سعد أن رسول اللَّه ﷺ قال : - وأنت قاعد - « **قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم** » ، فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء [1] ، فإجابة سعد لأبي بكر رضي الله عنهما تدل على أنه بايع أبا بكر ؛ لأنه صدقه ، ورضي بأن تكون الإمارة في قريش ، وليس أصلح لها من أبي بكر .

وهناك رواية للإمام أحمد عن رافع الطائي ، قال : « وسألته - أي أبا بكر - عما قيل في بيعتهم ، فقال وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار ، وما كلمهم به وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار ، وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول اللَّه ﷺ في مرضه - فبايعوني لذلك ، وقبلنا منهم ، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة [2] .

(١ ، ٢) البداية والنهاية (٥/٢٤٧) .

ويعلق ابن كثير على هذه الرواية فيقول : وهذا إسناد جيد قوي ، ومعنى هذا : أنه ﷺ إنما قبل الإمارة تخوفًا أن تقع فتنة من تركه قبولها ﷺ وأرضاه ، قلت : كان هذا في بقية يوم الاثنين ، فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد ، فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة (١) .

وهذه الروايات لعمري تؤكد لنا أن سعدًا لم يتخلف عن بيعة أبي بكر ؛ لأن قول أبي بكر ﷺ : « فبايعوني » ، دون أن يذكر أحدًا قد تخلف يدل على أن البيعة كانت بإجماع ، وإلا لو تخلف سعد لذكر ذلك أبو بكر ﷺ ؛ لأن مثل سعد لا يتجاهله أبو بكر ، كما أن قول ابن كثير : فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة يدل - أيضًا - على أن البيعة كانت بإجماع الصحابة ﷺ .

وجاء في الطبري عن جابر قال : قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر : إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة ، وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة ، فقالوا : إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ، ولكنا أجبرناك على الجماعة (٢) .

فهذا اعتراف من سعد ﷺ ، بأنه بايع أبا بكر نزولًا على رغبة الجماعة وإرادتهم .

---

(١) المرجع السابق . (٢) الطبري (٢٢٣/٣) .

هذه هي بعض النصوص الصريحة الدالة على أن سعد ابن عبادة ﷺ بايع أبا بكر ﷺ من أول يوم ، ولم يتخلف عنه ، وإذا ضممنا إلى ذلك ما قدمناه من صفات سعد ، وقوة إيمانه ، وطاعته المطلقة للّه ورسوله ، وحدبه على الدعوة ، وسلوكه منذ أسلم - استطعنا أن نقول إن الروايات التي تدل على البيعة أقوى وأرجح من الروايات التي تروي تخلف سعد ﷺ ، وإليك بعض روايات التخلف .

يروي الطبري أن سعد بن عبادة ﷺ قال ، بعد أن بويع أبو بكر في السقيفة : « احملوني من هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره وترك أيامًا ، ثم بعث إليه أن أقبل فبايع ، فقد بايع الناس وبايع قومك ، فقال : أما واللّه حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي ، وأخضب سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ، فلا أفعل ، وايم اللّه لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي ، فلما أوتي أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع . فقال بشير بن سعد : إنه قد لج وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فاتركوه ، فليس تركه بضاركم ، وإنما هو رجل واحد . فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، واستنصحوه لما بدا لهم منه ، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم

ولا يجمع معهم ، ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر ﷺ (١) .

- وهذه رواية أخرى :

ولما توفي رسول الله ﷺ طمع - سعد بن عبادة - في الخلافة ، وجلس في سقيفة بني ساعدة ، ليبايع لنفسه ، فجاء إليه أبو بكر وعمر ، فبايع الناس أبا بكر ، وعدلوا عن سعد ، فلم يبايع سعد أبا بكر ولا عمر ، وسار إلى الشام فأقام به بحوران إلى أن مات (٢) .

وروي - أيضًا - عن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة عن أبيه قال : توفي سعد بن عباد بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر (٣) .

فهذه الروايات التي تدعي أن سعد بن عبادة ﷺ لم يبايع أبا بكر ولا عمر ﷺ ، وتذهب إلى أنه اعتزلهم ولم يصل معهم ولم يحج بحجهم - يبدو أنها روايات غير صحيحة ؛ لأنها لو صحت لكان موقف سعد فيه ريبة ؛ إذ كيف بصحابي جليل ورجل له المواقف المشهودة مع رسول الله ﷺ ، يشذ عن الصحابة ويفارقهم ويعيش وحده ؛ لأنهم لم يروه أهلًا للخلافة وولوها رجلًا هو أفضل منه ، وأسبق إسلامًا ، وأكثر صحبة للرسول ﷺ ؟ وكيف يكون حب الدنيا والسلطان والرياسة

(١) الطبري (٣/٢٢٢) . (٢) أسد الغابة (٢/٢٨٤) .
(٣) الطبقات ، (٣/٦١٤) ، ط بيروت .

أشد في قلب سعد ﷺ من حب الدين وطاعة الله ورسوله وولي الأمر ؟ إن دين سعد وخلقه يأبى كل ذلك ، ويأبى أن يقف سعد وحده في جانب والمسلمون جميعًا وخليفتهم في جانب آخر وهو يعلم أن الرسول ﷺ قال : « **من مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية** » [١] .

والخلاصة : أننا نرى أن الروايات التي صرحت بأن سعد ابن عبادة ﷺ بايع أبا بكر منذ البداية هي الروايات الراجحة في نظرنا ؛ لأنها تتفق مع دين سعد وخلقه وسلوكه مع الرسول ﷺ ومع المسلمين . أما روايات تخلفه عن البيعة فأغلب الظن أنها من وضع الشعوبية وأعداء الإسلام ، الذين وضعوها ليظهروا أبطال الإسلام في مظهر المخالفة والتكالب على السلطان والجاه وعرض الدنيا . والله أعلم .

* * *

(١) صحيح مسلم (١٢١/٢) .

موقف علي بن أبي طالب ﷺ من بيعة الصديق

كانت الخلافة أول شيء اختلفت فيه وجهات النظر بين الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بعد وفاة الرسول ﷺ ، لقد كتب المؤرخون كثيرًا عن هذه الحادثة قديمًا وحديثًا ، فمنهم من قصد سبيل الحق والصواب ، مراعيًا شرف الصحبة وطبيعة التربية التيترباها الصحاب الكرام في مدرسة محمد ﷺ ، فلم يكتب إلا ما يتفق وهذه الحال .

ومنهم من جنح به الخيال فشط في التصوير وأفرط في سوء الظن ، وكان هؤلاء عدة طوائف ، فمنهم من فعل هذا عن جهل بتاريخ الإسلام وتاريخ رجاله في الصدر الأول ، كالمستشرقين ومن ظاهرهم وسار على منوالهم ، ومنهم من دفعه إلى ذلك التعصب المذهبي كما فعل الشيعة وعلى رأسهم فرقة الرافضة ، وبالنظر إلى ما كتب عن الخلافة والاختلاف فيها وحولها ، نجد أن أكثر ما كتب كتب عن علي ﷺ ، وعن الوصية أو العهد له ، وعن أحقيته في الخلافة ؛ لقرابته ومصاهرته من النبي ﷺ ، وكان هذا مذهب المتشيعين بطبيعة الحال . ولقد رتبوا على ذلك أن عليًا لم يبايع الصديق مدة من الزمن ، أوصلها بعضهم إلى ستة شهور .

ولقد تكلمنا - فيما سبق - عن حديث الوصية بما فيه

الكفاية ، ونود الآن أن نبين موقف علي من بيعة أبي بكر رضي الله عنهما وهل صحيح أنه تخلف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه بحيث لم يبايع إلا متأخرًا ، وتبعه في ذلك بنو هاشم ، أو أنه أسرع إلى بيعة الصديق وكان من أول المبايعين له في البيعة العامة ؟ الحقيقة أننا لم نشهد اضطرابًا وتناقضًا بين روايات المؤرخين ، في قضية من قضايا التاريخ الإسلامي ، أشد من الاضطراب والتناقض الموجود في قضية بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما وتخلفه عنها .

وحسب الإنسان ليرى مدى هذا التناقض وهذا الاضطراب أن يوازن بين رواية تذهب إلى أن عليًا رضي الله عنه وقد بلغه أن أبا بكر قد جلس في المسجد للبيعة فذهب مسرعًا بقميصه ما عليه إزار ولا رداء ، كراهية أن يتأخر عن البيعة ، ثم يبايع الصديق ويلازم مجلسه ، وبين رواية تذهب إلى أن عليًا رضي الله عنه لم يبايع إلا بعد ستة أشهر ، أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها .

وناهيك عن الروايات التي تذهب إلى أن عليًا جلس في بيته ومعه بنو هاشم وامتنعوا عن بيعة الصديق ، فذهب إليهم عمر ومعه مجموعة من كبار الصحابة وأقسم ليبايعن أبا بكر أو ليحرقن عليهم الدار ، ثم تصرخ فاطمة في وجه عمر رضي الله عنه وتقوله له : « لئن لم تخرج لأكشفن عن شعري » . ثم تتمادى بعض الروايات إفراطًا منها في سوء الظن أو سوء الفهم لطبيعة هؤلاء الناس فتذكر أن عليًا رضي الله عنه كان يحمل

فاطمة رضي الله عنها على دابتها ليلًا ويطوف بها على بيوت الأنصار ، يلتمس منهم النصرة . ولعمري إن هذه الرواية بالخرافة أشبه منها بتاريخ يدون بهذا الشكل وتقرأه الأجيال المسلمة على تعاقب الأزمان ؛ إذ كيف يتصور الإنسان أن يرضى علي رضي الله عنه لنفسه ولزوجه الكريمة ، بنت أفضل الخلق أجمعين ، بهذه المهانة وهذا الاستجداء فيطوف بها على البيوت ليلًا ؟ إن العربي العادي يأنف أن يفعل بزوجه مثل هذا ، فكيف يفعله مثل علي بن أبي طالب بفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ؟! .

ثم إذا كان الأنصار بوسعهم أن يفعلوا شيئًا لعلي ؟ هل كان من الممكن أن يخلعوا بيعة أبي بكر ويبايعوا عليًا ؟ إن هذا غير ممكن على الإطلاق ، فعلي إذن يطلب المستحيل ، ومثل علي لا يحاول مثل هذه المحاولة الدنيئة ، فنحن ننزهه وننزه زوجه الكريمة رضي الله عنهما من هذه التفاهات .

والآن نستعرض بعض هذه النصوص المتعارضة لنرى أيها أقرب إلى طبائع الأمور ، وأيها يوافق أخلاق علي ومركزه ودينه ، وأيها أولى أن يصدق ويعتمد تاريخًا للرجال الذين أقاموا دولة الإسلام ووضعوا أسس حضارته .

يروي الطبري ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضه في فدك ، وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : أما إني

سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « **لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال** » ، وإني واللّٰه لا أدع أمرًا رأيت رسول اللّٰه ﷺ يصنعه إلا صنعته . قال : « فهجرته فاطمة ولم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها علي ليلًا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وكان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرف وجوه الناس عن عليٍّ ، فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول اللّٰه ﷺ ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه علي ستة أشهر ؟ قال : لا ، ولا أحد من بني هاشم ، حتى بايعه علي ، فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك . قال أبو بكر : واللّٰه لآتينهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ؟! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على علي وقد جمع بني هاشم عنده ، فقام علي فحمد اللّٰه وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك ، ولا نفاسة عليك بخير ساقه اللّٰه إليك ، ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقًّا فاستبددتم به علينا ، ثم ذكر قرابته من رسول اللّٰه ﷺ ، وحقهم ، فلم يزل علي يقول ذلك حتى بكى أبو بكر .

فلما صمت علي تشهد أبو بكر فحمد اللَّه وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، واللَّه لقرابة رسول اللَّه أحب إلي أن أصل من قرابتي وإني واللَّه ما آلوت في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير ، ولكني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال** » وإني أعوذ باللَّه ألا أذكر أمرًا صنعه محمد رسول اللَّه إلا صنعته . ثم قال علي : موعدك العشية للبيعة . فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ، ثم عذر عليًا ببعض ما اعتذر به ، ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه ، ثم قالت : فأقبل الناس إلى علي ، فقالوا : أصبت وأحسنت . قالت : فكان الناس قريبًا إلى علي حين قارب الحق والمعروف [1] .

هذه الرواية من أشهر الروايات تقريبًا عن تخلف علي رضي الله عنه عن بيعة الصديق رضي الله عنه .

وأمر هذه الرواية عجيب من عدة وجوه :

أولًا : هذه الرواية تقحم قضية الميراث في قضية الخلافة والبيعة ؛ مما يجعلنا نشك في صحتها ، فما العلاقة بين البيعة والميراث ؟ فالخلافة حق المسلمين جميعًا ، وقد قالوا كلمتهم فيها واختاروا لها أصلحهم وأفضلهم ، أما الميراث فمسألة

---

(١) الطبري (٣/٢٠٧ - ٢٠٩) .

شخصية لا علاقة لها بالبيعة .

ثم إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما ، لم يكونا الوارثين الوحيدين للرسول ﷺ ، فقد كان هناك أزواجه أمهات المؤمنين ، رضي الله عنهن ، وبينهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما .

فلم تذهب واحدة منهن تطالب أبا بكر بميراثها من رسول الله ﷺ وذلك لعلمهن أن الرسول لا يورث كما روى الصديق رضي الله عنه فهذا يدل على أن رواية ميراث فاطمة رضي الله عنها تزيدها أناس في وقت متأخر ؛ لأغراض سياسية ، وليرتبوا عليها أن أبا بكر خالف تعاليم النبي ﷺ إذ منع فاطمة والعباس رضي الله عنهما من الميراث ؛ لئلا يتطرق الأمر من الميراث المادي للرسول ﷺ إلى الميراث الأدبي وهو الخلافة ، وهذا وهم بعيد عن الحق والواقع ، فأبو بكر رضي الله عنه لم يخالف تعاليم النبي ﷺ قيد أنملة ، وقصة الميراث أدل شيء على ذلك حيث التزم فيها نصًا سمعه من رسول الله ﷺ ، ثم عدم مطالبة أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ بميراثهن دليل على أن قصة الميراث مختلقة من أساسها ، وإلا فلنا أن نسأل : هل أعطى أبو بكر ميراث ابنته عائشة وابنة عمر حفصة رضي الله عنهم إذ منع فاطمة والعباس ؟ لم يقل بهذا أحد . أو أن أزواج النبي ، رضي الله عنهن ، امتنعن عن المطالبة بحقوقهن المشروعة مجاملة لأبي بكر ؟ لم يقل بهذا أحد أيضًا .

ثانيًا : ما تذهب إليه هذه الرواية من أنه « كان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت انصرف وجوه الناس عن علي » هذا الكلام ما معناه ؟ معناه ، طبعًا ، أن عليًا ﷺ كان يعيش بين الصحابة على حساب فاطمة ويستمد كيانه منها ، وأن الذين كانوا مائلين مع علي وملتفين حوله إنما صنعوا ذلك مجاملة لفاطمة لا لعلي ؛ بدليل انصرافهم عنه بعد وفاتها رضي الله عنها ، ونحن لا ننكر على فاطمة رضي الله عنها مركزها ولا على الصحابة ﷺ أن يحترموها ، فهي بنت نبيهم ﷺ وأحب الناس إليه .

ولكن الذي ننكره ولا نقبله هو تصوير علي ﷺ بهذه الصورة بحيث إن الناس لا يقيمون له وزنًا إلا حياة فاطمة ، فلما ماتت انصرفوا عنه وخذلوه ؛ لأن هذا الكلام في غاية الخطورة على علي نفسه ؛ لأن الرجل الذي يعتمد في تثبيت مركزه والمطالبة بحقه على امرأة كائنة من كانت لا يصلح لإمارة المسلمين ، ولكن الواقع أن عليًا ﷺ بطل كبير من أبطال الإسلام ، وكان مضرب المثل في الشجاعة والبطولة ، ولما جاء دوره ألقى المسلمون زمام الأمور بين يديه طائعين ، بل ألحوا عليه إلحاحًا ليقبل الإمارة لاعتقادهم أنه أفضل الصحابة الموجودين حينئذ وأصلحهم للإمارة ، فلو كان علي ﷺ يستمد كيانه من فاطمة فهل كان المسلمون يبايعونه بالإمارة بعد موتها بأكثر من عشرين عامًا ؟ إن هذا

الكلام غير معقول .

ثالثًا : تذكر هذه الرواية أن عليًا لما أراد أن يبايع أبا بكر ﵄ أرسل إليه أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر لأبي بكر : لا تأتهم وحدك ... إلخ .

فلماذا يكره علي أن يأتيه عمر مع أبي بكر ﵁ ؟ وما الخصومة التي بين عمر وعلي ؟ لقد تكلمنا فيما سبق عن الذين صوروا عمر ﵁ عدوًا لدودًا لعلي ولبني هاشم ، يقف حجر عثرة في طريق خلافة علي ، وقلنا إن الواقع يكذب هذا الادعاء ، فالقوم كانوا إخوة مؤمنين كالجسد الواحد ، ولقد أصهر عمر إلى علي ﵄ فتزوج بنته أم كلثوم ، ولا يعقل أن يتزوج رجل بنت رجل بينه وبينه أحقاد وضغائن .

ثم إن عليًا دعا أبا بكر ﵄ ليسالمه ويبايعه ، فلم يكن الوقت إذن وقت مشاحنة بحيث يخشى علي من شدة عمر وقوته . ثم قول عمر لأبي بكر ﵄ : لا تأتهم وحدك . ورد أبي بكر : وماذا عسى أن يصنعوا بي ؟! .

الإنسان لا يستطيع أن يجزم بما هو المقصود من هذا الكلام ، هل كان عمر يخشى على أبي بكر أن يغدر به علي وبنو هاشم ؟ وهل كان ذلك من خلق هؤلاء الناس الأفاضل الذين بلغوا الذروة في التقوى والخوف من الله ؟

لا يجد الإنسان معنًى أبعد عن الصواب من هذا المعنى الذي يلحظه من فحوى هذا الكلام .

رابعًا : تقول هذه الرواية إن الناس أقبلوا على علي بعد أن بايع أبا بكر ﷺ ، وقالوا له : أحسنت وأصبت . وتقول عائشة : فكان الناس قريبًا إلى علي حين قارب الحق والمعروف .

فالذي نفهمه من هذا الكلام - إن صح - أن عليًا في مدة تخلفه كان بعيدًا عن الناس ، وأن الناس كانوا بعيدين عنه لبعده عن الحق لتخلفه عن البيعة . ومثل علي ﷺ لا يليق به أن يكون بعيدًا عن الحق والمعروف وبعيدًا عن الناس ، فهو أولى الناس بأن يكون قريبًا إلى الحق والمعروف ، قريبًا من الخليفة ، يعاونه ويشير عليه ويشد أزره .

كل هذا يجعلنا لا نثق في هذه الرواية وأمثالها ، من روايات تخلف علي عن بيعة أبي بكر ﷺ ؛ لأنها تخللتها عبارات غريبة لا يستقيم معناها مع أخلاق الصحابة وسلوكهم . لهذا نحن نرجح الروايات التي تذكر أن عليًا بادر إلى بيعة أبي بكر ﷺ من ذلك :

ما يرويه الطبري ، عن حبيب بن ثابت قال : كان علي في بيته إذ أُتي قيل له : قد جلس أبو بكر للبيعة . فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء ، عجلًا ؛ كراهية أن يبطئ عنها ، حتى بايعه ، ثم جلس إليه ، وبعث إلى ثوبه فأتاه

فتجلله ولزم مجلسه [١] . هذه الرواية هي أوجه الروايات في نظرنا ؛ لأنها أنسب ما يكون لخلق علي ودينه وطباعه ، ولا ينتظر من علي إلا أن يبادر إلى بيعة أبي بكر الذي اجتمعت عليه كلمة الأصحاب جميعًا ﷺ ، ويلزم مجلسه ويشد أزره ، ويقف إلى جواره ، ليدفعوا عن دينهم - الذي ضحوا من أجله - عوادي المخالفين والمتمردين ، ويسيروا في الطريق الذي بين لهم معالمه محمد ﷺ .

ويؤيد هذه الرواية ما ذكرناه قبلُ من سؤال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد عن وفاة رسول اللّٰه وبيعة أبي بكر ، فقال له : وهل قعد أحد من المهاجرين - أي عن بيعة أبي بكر - فقال سعيد : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم .

وشهادة سعيد بن زيد راجحة بطبيعة الحال ؛ لأنه شاهد عيان ، ولو كان علي تخلف عن البيعة ، لما نسي ذلك سعيد بن زيد ؛ لأن مثل علي لا ينسى تخلفه في مثل هذا الموقف ، خصوصًا أن بني هاشم تبع له .

وهناك روايات كثيرة تدل على أن عليًا بايع أبا بكر رضي الله عنهما في وقت مبكر ، فيروي ابن كثير في البداية والنهاية أن أبا بكر صعد المنبر بعد بيعته البيعة العامة ، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، فقال : « قلت : ابن عمة رسول اللّٰه ﷺ

(١) الطبري (٣/٢٠٧) .

وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه ، ثم نظر في وجوه القوم ، فلم ير عليًا فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء ، فقال : قلت : ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ، قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه (١) .

ويعلق ابن كثير على هذا فيقول : وهذا أحق ؛ فإن علي ابن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه ، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرًا سيفه يريد قتال أهل الردة (٢) .

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري قال : وقال أبو بكر لعلي ابن أبي طالب : قد علمت أني كنت في هذا الأمر قبلك ، قال : صدقت يا خليفة رسول الله ، فمد يده فبايعه (٣) .

وفي رواية عن علي نفسه أنه قال : « لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي قد قدَّم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا عمن رضي رسول الله لديننا ؛ فقدمنا أبا بكر » (٤) .

وفي رواية عن عمرو بن سفيان قال : لما ظهر علي على الناس قال : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ ، لم يعهد إلينا

---

(١) البداية والنهاية (٥/٢٤٧) وما بعدها .

(٢) المرجع السابق . (٣) الرياض النضرة (١/١٧٥) .

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ٥) .

في هذه الإمارة شيئًا ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام ، حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله [١] .

وفي رواية عن أبي وائل قال : قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا ، فقال : ما استخلف رسول الله ﷺ ، فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم [٢] .

ويعلق ابن كثير على هذا القول :

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما ، عن علي ﷺ يرد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ ، أوصى لعلي بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله ، في حياته وبعد مماته ، من أن يفتاتوا عليه ، فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا ؟ ومن ظن بالصحابة ، رضوان الله عليهم ، ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ [٣] . فهذه الروايات التي يدعم بعضها بعضًا تدل على أن عليًا ﷺ لم يتخلف عن بيعة الصديق ﷺ .

---

(١) البداية والنهاية (٥/٢٤٧) وما بعدها .

(٢ ، ٣) البداية والنهاية (٥/٢٥٢) .

ثم إن مبايعة علي ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ ، ورضاه عن إمارته - يدل على أن عليًا كان راضيًا عن بيعة أبي بكر ﵄ وأنه بايعه طائعًا مختارًا منذ البداية ؛ إذ لا يعقل أن يمتنع علي عن بيعة أبي بكر ، ثم يوافق على بيعة عمر ؛ لأن أبا بكر أفضل من عمر باعتراف الجميع ، وعلي نفسه لما سأله ابنه محمد عن أفضل المسلمين بعد الرسول ﷺ ، قال : أبو بكر . فقال محمد : ثم من ؟ قال : عمر .

ويذكر العقاد أن أبا بكر بعد أن شاور كبار الصحابة في استخلاف عمر بعده سأل عليًا في ذلك ، فقال علي : عمر عند ظنك به ورأيك فيه ، إن وليته نحظى برأيه ، ونأخذ منه ، فامض لما تريد ، وأملى أبو بكر كتاب العهد على عثمان بن عفان فكتبه وختمه وخرج به مختومًا ونادى في الناس : أتبايعون لمن في هذا الكتاب ؟ وقيل : إن أبا بكر أشرف من كورته ، فقال : يا أيها الناس إني قد عهدت عهدًا أفترضونه ؟ قالوا : رضينا يا خليفة رسول اللّه ، فقال علي : لا نرضى إلا أن يكون عمر (١) .

وفي رواية : أن أبا بكر ﷺ قال : واللّه ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة ، ولا سألتها اللّه في سر ولا علانية ، فقبل المهاجرون مقالته ، وقال علي والزبير : ما عصينا إلا لأنا أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد

---

(١) عبقرية الصديق (ص ١٧٨) .

النبي ﷺ إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره النبي ﷺ بالصلاة وهو حي [١] .

وقال علي ﷺ : قدم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلي بالناس وقد رأى مكاني ، وما كنت غائبًا ولا مريضًا ، ولو أراد أن يقدمني لقدمني ، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله لديننا [٢] .

وفي رواية : أن رجلًا من بني هاشم قال لعلي ﷺ لما قبض رسول الله ﷺ : اخرج يا علي ، فأخبر الناس أن النبي جعل الخلافة فينا ، فلا تخرج منا أبدًا ، فقال : لا والله ، ما كذبت عليه حيًا ، فأكذب عليه ميتًا [٣] .

كل هذه النصوص يظاهر بعضها بعضًا ، تدل على أن عليًا ﷺ لم يتخلف عن بيعة الصديق ﷺ ، أما قصة الخلاف والتخلف فهي في أغلب الظن من اختراع الشيعة الذين جعلوا عليًا ﷺ قطب الرحى في قضية الخلافة ، وصوروه مغلوبًا على أمره مسلوب الحق ؛ لذلك تخلف عن البيعة ولم يبايع إلا مكرهًا بعد أن رأى نفسه وحيدًا قد انفض الناس عنه بعد وفاة فاطمة ﵂ ، ونحن ننزه عليًا أن يكون مسلوب الإرادة مغلوبًا على أمره وهو ﷺ بريء كل البراءة مما لفقته الشيعة .

---

(١) تاريخ الإسلام (١/٣٤٠) .

(٢) الرياض النضرة (١/١٥٠) . (٣) المرجع السابق .

سلوك علي ﷺ مع الخلفاء

إن سلوك علي ﷺ مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه يدل على أنه لم يتأخر عن بيعة واحد منهم ، وكان لهم نعم العون برأيه وعلمه وشجاعته ، فقد ذكرنا رواية ابن كثير فيما سبق أن عليًا ﷺ لم يتخلف عن الصديق في صلاة من الصلوات ، ولقد كان ﷺ إلى جانب أبي بكر في حروب الردة ، ففي رواية عن ابن عمر ﷺ قال : لما برز أبو بكر إلى القصة واستوى على راحلته ، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها ، وقال : إلى أين يا خليفة رسول اللَّه ؟ أقول لك ما قال رسول اللَّه ﷺ يوم أُحد : « **لُمَّ سيفك ، ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فواللَّه لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا** » ، فرجع [1] .

وجاءت هذه الرواية عن عائشة مع تغيير بسيط في الألفاظ ، قالت ﷺ : « خرج أبي شاهرًا سيفه ، راكبًا على راحلته ، إلى وادي القصة فجاء علي بن أبي طالب ، فأخذ بزمام راحلته ، فقال : إلى أين يا خليفة رسول اللَّه ؟ أقول لك ما قال رسول اللَّه ﷺ يوم أُحد : « **لُمَّ سيفك ، لا تفجعنا بنفسك ، فواللَّه لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا** » فرجع وأمضى الجيش [2] .

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٥) . (٢) المرجع السابق .

فهذا هو علي ﷺ ، وهذا حدبه على خليفة رسول اللّٰه ، وحذره أن يصيبه مكروه فيختل نظام الإسلام ، وهذا تواضعه حيث يمسك بزمام راحلة الصديق ويخاطبه بلقب الخلافة في أدب جم ، فمثل هذا الرجل يقال عنه إنه تخلف عن البيعة ، فلما انصرف عنه الناس بايع مكرهًا ؟! إن هذا غير معقول .

ولقد عين الصديق ﷺ عليًا ﷺ على حراسة المدينة ضد إغارات مانعي الزكاة والمرتدين ، فقبل علي أمر الخلافة ووقف مدافعًا عن عاصمة الإسلام في شجاعته المعهودة .

يروي الطبري فيقول : فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة إليهم ، فأخبروا عشائرهم بقلة من أهل المدينة وأطمعوهم فيها ، وجعل أبو بكر بعدما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفرًا ، عليًا والزبير وطلحة وعبد اللّٰه بن مسعود (١) .

وهكذا لم يكن علي بعيدًا عن أبي بكر ﷺ مدة خلافته كما تدعي الشيعة ، وإنما كان من أبرز معاونيه ومستشاريه ، فرضي اللّٰه عنهم وجزاهم خيرًا .

* * *

(١) الطبري (٣/٢٤٥) .

علي مع عمر وعثمان ﷺ

تفيض الأخبار بأن عليًا كان من زعماء مجلس الشورى للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وكان علي يعتبر مرجع الخليفة في الفتوى والقضايا الفقهية ، وكثيرًا ما كان عمر ﷺ ينزل على رأي علي إذا كان هو الصواب ، ويروى أنه عندما سافر الخليفة عمر ﷺ إلى الشام ، لاستلام مفاتيح بيت المقدس ، ولتفقد أحوال الجيش الإسلامي في هذه الجبهة الخطيرة ، أناب عليًا ﷺ على المدينة ليقوم بأعمال الخليفة ، وليس فوق هذا دلالة على الألفة والتعاون لمصلحة المسلمين بين هؤلاء الأبطال العظام .

وكذلك كان علي ﷺ مع عثمان ﷺ ، مدة خلافته ، ولما ثار الثائرون على عثمان ، وأحاطوا به ، كان علي أقرب الناس إليه وأخلصهم له ، فيقول العقاد : فلما تفاقمت الفتنة وأحاط الثائرون ببيت عثمان ، لا يكتفون في هذه الكرة إلا أن يعتزل أو يسلمهم مروان بن الحكم أو يعزلوه عنوة - وجاء في رواية شداد بن أوس - أن عليًا ﷺ خرج من منزله يومئذ معتمًا بعمامة رسول الله متلقدًا بسيفه ، أمامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس ، وفرقوهم ثم دخلوا على الخليفة ، فسلم عليه علي ، وقال بعد تمهيد وجيز : « لا أرى القوم إلا قاتليك فمرنا فلنقاتل » ، فقال الخليفة : أنشد الله رجلًا

رأى لله حقًّا ، وأقر أن لي عليه حقًّا ، أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم ، أو يهريق دمه فيَّ ، فأعاد علي القول فأعاد عليه هذا الجواب ، ثم خرج من عنده إلى المسجد وحضرت الصلاة فنادوه : يا أبا الحسن ، تقدم فصلِّ بالناس ، فقال : لا أصلي بكم والخليفة محصور ، ولكني أصلي وحدي ، ثم صلى وحده ، وانصرف إلى منزله وترك ابنيه مع أبناء زمرة من الصحابة في حراسة دار الخليفة (١) .

هذا هو علي ﷺ ، وهذه هي أخلاقه ، وتصرفاته وسلوكه مع الخلفاء الثلاثة ، ولا يليق به أن يصنع غير هذا .

ونحن إذ ترجحت لدينا - لما سبق من الأدلة - رواية مبادرة علي إلى مبايعة أبي بكر ﷺ ؛ لأنها رواية صريحة لا التواء فيها ولا اضطراب ، فضلًا عن موافقتها لأخلاق علي وسلوكه ، ولم نقبل رواية التخلف لما فيها من الاضطراب والخلط بين مسألة البيعة ومسألة الميراث لا سيما وأن عليًا ﷺ عندما آلت الخلافة إليه لم يغير شيئًا مما صنعه أبو بكر في مسألة الميراث ، وهذا إقرار منه بأن أبا بكر فعل الصواب ، أو لو كان ما فعله أبو بكر خطأ لكان على عليٍّ أن يصحح هذا الخطأ ، مما يدل على أنها من وضع الشيعة - لا نميل إلى ما ذهب إليه ابن كثير ونقله عنه الأستاذ شبير في رسالته عصر الصديق ، من أن البيعة التي تمت بعد وفاة

---

(١) عبقرية الإمام (ص ٦٨ ، ٦٩) .

فاطمة كان تجديدًا للبيعة الأولى ، وذلك للتوفيق بين الأخبار والروايات ، فيقول : إن البيعة التي تمت بعد وفاة السيدة فاطمة كانت البيعة الثانية ، وإنه ﷺ بايع مع الناس في اليوم الأول أو الثاني [١] .

وذلك ؛ لأن البيعة عقد بين الخليفة والمسلمين ، والتزام منهم بطاعته ، والعقد لا ينفك إلا بالخروج على الخليفة وخلع طاعته ، ونقض بيعته ، وهذا لم يحدث من علي ﷺ ، ولم يقل به أحد من رواة الأخبار ؛ فلا ضرورة إذن لتجديد البيعة ، خصوصًا أن ابن كثير نفسه روى أن عليًا ﷺ لم يفارق الصديق ولم ينقطع عن الصلاة خلفه وكان إلى جانبه في حروب الردة ، كما بيّنا ذلك سابقًا .

* * *

(١) عصر الصديق (ص ٤١) ، البداية والنهاية (٥/٢٥٠) .

رواية اليعقوبي عن ذهاب أبي بكر إلى العباس

هناك رواية يرويها اليعقوبي في تاريخه هكذا : فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة ابن شعبة ، فقال : ما الرأي ؟ قالوا : الرأي أن تلقى العباس ابن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيبًا يكون له ولعقبه من بعده ، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب [١] .

ومن الواضح أن هذه الرواية فيها شيء من الغرابة ؛ لأن هذه الأساليب الملتوية لا تليق بأصحاب النبي ﷺ ، فهي إن ناسبت رجال السياسة ، وقواد الثورات في العصر الحديث ، حيث يلجأون إلى التدليس والمساومة ، وتقسيم المناصب ، والرضا بأنصاف الحلول ؛ حبًا في السلطان والجاه والنعيم - فهي لا تتناسب مع الذين كان الزهد في الدنيا ونعيمها وزخرفها أبرز صفاتهم .

ثم لنا أن نسأل : كيف يساوم أبو بكر على الخلافة ويعد العباس بنصيب فيها وهي ليست ملكه ؟ بل هي حق المسلمين جميعًا ، وهم وحدهم الذين يملكون حق تأمير من يرونه أحق بها وأصلح لدينهم ودنياهم ، وأبو بكر نفسه لم يستطع إمضاء عهده لعمر بالخلافة إلا بعد موافقة كبار الصحابة ، وأهل الحل والعقد منهم .

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/١٠٤) .

ثم لنا أن نسأل أيضًا : ما النصيب الذي يمكن لأبي بكر أن يجعله للعباس وعقبه في الخلافة ؟ هل هي شركة يتقاسمونها بينهم ، أو أنه وعد من أبي بكر بأن يليها العباس من بعده ، أو أحد بنيه ؟ إننا لا نستطيع فهم هذا النصيب الغامض ، ثم لنا أن نسأل : ما الذي يلجئ أبا بكر ﷺ إلى هذه المساومة ؟ وهو الخليفة الذي أجمع المسلمون على بيعته ، وبيده السلطان والأمر والنهي ، فالأقرب إلى المعقول أن يتقرب الناس إلى الخليفة ، لا أن يسعى إليهم هو في منازلهم يستنجد بهم .

ثم ما تزعمه الرواية ، من أن الغرض من مسعى أبي بكر ومن معه كان التفريق بين العباس وابن أخيه ﵄ ، هو زعم باطل في نظرنا ؛ لأننا لا يمكننا أن نتصور ولا يمكن أن يتصور أبو بكر نفسه ، أن حب الدنيا والمشاركة في السلطان أشد عند العباس من حبه لابن أخيه ، فيضحي بعلاقته بابن أخيه ويقطع وشائج الدم التي بينهما من أجل وعد مبهم في ضمير الغيب لا يملك وسيلة لتنفيذه .

لكل هذا نستطيع أن نقول : إن هذه الرواية غير صحيحة يحتمل أنها وضعت في التاريخ الإسلامي ؛ كيدًا للمسلمين وإظهارهم بمظهر التكالب على السلطان وعرض الدنيا الزائل .

ويبدو أن هذه الروايات وأمثالها من روايات الوصية

والعهد بالخلافة وغيرها من الروايات الغريبة - قد لاقت رواجًا لاعتقاد بعض الناس بأحقية قرابة الرسول ﷺ بالخلافة ، خصوصًا الشعوب التي دخلت في الإسلام ، وكانت فيها أسر حاكمة تتوارث الحكم خلفًا عن سلف ، وما دروا أن النبي ﷺ لم يكن يحذر شيئًا حذره أن يحسب الناس نبوته تمهيدًا لملك هاشمي .

ولقد أكد النبي ﷺ حذره هذا بقوله وفعله ، فنادرًا ما كان يستعمل أحدًا من بني هاشم ، ولعل المسلمين يوم أن بايعوا أبا بكر ﷺ في السقيفة كان يدور في أذهانهم إبعاد الخلافة عن بني هاشم حتى لا يظنوها دولة هاشمية ، يقول المقريزي : وذهب بعضهم إلى أن السر في خروج الخلافة بعد رسول اللَّه ﷺ من علي بن أبي طالب إلى أبي بكر وعمر وعثمان أن عليًا لو ولي الخلافة حينئذ ، وهو أبو الحسنين ، لأوشك أن يقول قائل ويتخيل متخيل أنه ملك متوارث ، لا يكون إلا في أهل البيت ، كما تزعمه الرافضة ؛ فصان اللَّه العقائد من هذه الشبهة ، كما صانها من قول القائل ، عن النبي ﷺ : « **هو رجل يطلب ملك أبيه** » ، وهو معنى حسن ؛ ولهذا السر جعل النبي ﷺ الخلافة لعامة قريش ، ولم يخص بها بيته ولا بني هاشم حتى لا يتخيل متخيل أنه ملك متوارث ، واللَّه أعلم [١] .

---

(١) النزاع والتخاصم (ص ٦٣) .

وعلى الرغم من روايات بعض المؤرخين عن تخلف علي ابن أبي طالب وبني هاشم وكذلك عن تخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر ، فإن المؤرخين مجمعون على أن أحدًا لم يثر على أبي بكر في خلافته ، لا علي ، ولا أحد من بني هاشم ، ولا من غيرهم . وهذا أكبر دليل وأبلغ حجة على أن خلافة أبي بكر ﷺ كانت موضع رضًا من الجميع ، وكيف لا يكون ذلك ؟ وقد كان عهد الصديق ﷺ امتدادًا لعهد حبيبه وصفيه محمد ﷺ من حيث العدالة المطلقة والمساواة التامة ، وتطبيق أحكام الشريعة الغراء : ويلخص أبو بكر عهده في جملة واحدة : « إنما أنا متبع لا مبتدع » فرضي اللّه عن أبي بكر وجزاه عن الإسلام أحسن الجزاء .

* * *

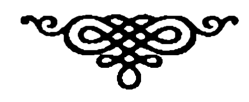


وَبَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه

دِراسَةٌ نَقْدِيَةٌ



البراهين العملية على جدارة أبي بكر بالخلافة



تمهيد

عندما تختار أمة من الأمم حاكمًا يدير شؤونها ويقوم على أمرها يتساءل الناس عادة عن ماضي هذا الحاكم ، عن نشأته ، وأخلاقه ، وصفاته ، ومواقفه في تاريخ أمته ، وسلوكه الشخصي والجماعي ، وصِلاته بالناس ، وحكمهم عليه ؛ لأن كل صفة من هذه الصفات تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على طريقته في الحكم وتصرفاته كرئيس أعلى لبلاده .

أما الحكم على الحاكم وعهده من حيث إقامة العدل والمساواة بين الرعية ومن حيث مواجهة المشاكل التي تصادفه وكيفية التصرف فيها والتغلب عليها ، فهذا عادة يكون بعد أن تنتهي مدة الحاكم .

وقد عرفنا أن الصحابة ، رضوان اللّٰه عليهم ، قد أجمعوا على مبايعة الصديق ﷺ ليضطلع بمسؤولية الحاكم الأعلى للدولة الإسلامية ، بعد انتقال صاحب الدعوة إلى الرفيق الأعلى ، ونريد أن نعرف الآن شيئًا عن حياة أبي بكر قبل الإسلام ، وبعده مصاحبًا للرسول ، وحاكمًا للدولة بعد وفاته .

* * *

نسب أبي بكر ﷺ

« هو أبو بكر بن أبي قحافة - واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر » (١) وفي مرة بن كعب يلتقي نسبه مع نسب النبي ﷺ .

نشأ أبو بكر ﷺ في بني تيم بن مرة الذين كانت إليهم المغارم والديات في الجاهلية ؛ لأنه كان « لكل من القبائل المقيمة بمكة اختصاص بأمر يتصل أو لا يتصل بمناصب الكعبة ، فكان لبني عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبني عبد الدار اللواء والحجابة والندوة ، وذلك قبل أن يولد هاشم جد النبي ، أما قيادة الجيوش فكانت لبني مخزوم أجداد خالد بن الوليد ، وكانت الديات والمغارم لتيم بن مرة ، وقد آل أمر الديات في الجاهلية إلى أبي بكر حين اشتد ساعده فتولى الزعامة في قبيلته ، لذلك كان إذا احتمل شيئًا منها فسأل قريشًا صدقوه ، وأمضوا حمالة من نهض معه ، وأن احتملها غيره خذلوه » (٢) .

والذي يعرف ما المغارم والديات في مجتمع قبلي كالمجتمع المكي - يعرف أن قبائل مكة كانت تثق في أبي بكر في هذه المهمة الخطيرة ، ويتحقق لديه أن أبا بكر ﷺ كان رجلًا مرموقًا في قومه في الجاهلية .

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٦) . (٢) الصديق أبو بكر (ص ٣١) .

اشتغاله بالتجارة

ولقد اشتغل أبو بكر بالتجارة بعد أن دخل في مرحلة الشباب فكان تاجرًا ناجحًا وكانت تربطه بالناس علاقات طيبة ، ويروي ابن هشام قائلًا : « وكان أبو بكر رجُلا مألفًا لقومه محببًا سهلًا ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلًا تاجرًا ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته » [1] ، ولا ندري أكان اشتغال أبي بكر بالتجارة سببًا في نجاحه في علاقاته بالناس أم أن أخلاق أبي بكر ورقته وسماحته وتواضعه كانت سببًا في نجاحه في التجارة ؟ الذي يبدو أن أخلاق أبي بكر كانت العامل الأقوى في كونه تاجرًا ناجحًا .

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٧) .

ترفعه عن عادات الجاهلية

كان المجتمع العربي في مكة مليئًا بصنوف وألوان من المجون وشرب الخمر ، وكان شباب قريش منغمسين في الشهوات والملذات ، أما أبو بكر فلم يقارف شيئًا من ذلك على الإطلاق ، يقول السيوطي : « وكان أبو بكر ﷺ أعف الناس في الجاهلية ، وأخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة ﷺ قالت : واللَّه ما قال أبو بكر شعرًا قط في جاهلية ولا إسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية » [١] .

وقيل لأبي بكر في مجمع من أصحاب رسول اللَّه ﷺ : هل شربت الخمر في الجاهلية ، فقال : أعوذ باللَّه ، فقيل : ولم ؟ قال : كنت أصون عِرضي وأحفظ مروءتي ؛ فإن من شرب الخمر كان مضيعًا في عرضه ومروءته ؛ قال : فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ ، فقال : « **صدق أبو بكر ، صدق أبو بكر** » [٢] مرتين .

* * *

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص١٣) .   (٢) تاريخ الخلفاء (ص ١٣) .

اتصال أبي بكر بالرسول ﷺ قبل البعثة

يكاد أن يكون هناك إجماع بين المؤرخين وكتاب السير على أن الصلة بين أبي بكر ﵁ والرسول ﷺ قد توطدت أركانها وتوثقت عراها في وقت مبكر قبل البعثة ، ويروى في ذلك أن أبا بكر « كان يعيش فيه مكة في الحي الذي تعيش فيه خديجة بنت خويلد ، ويعيش فيه التجار النابهون ... ومقامه بهذا الحي هو الذي ربط بينه وبين محمد بروابط الألفة بعد أن تزوج محمد من خديجة وانتقل إلى دارها ، وكان أبو بكر يصغر محمدًا بسنتين وأشهر ، وأكبر الظن أن التقارب والاشتراك في العمل والاتفاق في سكينة النفس ورضا الخلق ، وفي الرغبة عما تزاول قريش من عادات وعقائد ، أكبر الظن أن هذا كله كان ذا أثر في مودة محمد وأبي بكر »[1] .

* * *

(١) الصديق أبو بكر (ص ٣٤) .

إسلام أبي بكر

معظم المؤرخين والمحدثين على أن أبا بكر ﷺ كان أول من أسلم من الرجال .

فقد أخرج ابن عساكر عن علي ﷺ قال : « أول من أسلم من الرجال أبو بكر » .

وروي عن الشعبي قال : « سألت ابن عباس : أي الناس كان أول إسلامًا ، قال : أبو بكر الصديق » (١) .

يقول الجاحظ : « إن الناس اختلفوا في أول الناس إسلامًا ، فقال قوم : أبو بكر بن أبي قحافة ، وقال آخرون : زيد بن حارثة ، وقال نفر : خباب بن الأرت ، على أنه إذا تفقدنا أخبارهم ، وأحصينا أحاديثهم ، وعدد رجالهم ، ونظرنا في صحة أسانيدهم كان الخبر في تقديم أبي بكر أهم ورجاله أكثر ، وإسناده أصح ، وهم بذلك أشهر ، واللفظ به أظهر مع الأشعار الصحيحة ، والأخبار المستفيضة في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته » (٢) .

* * *

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٣) .

(٢) العثمانية (ص ٣) .

كيف قابل أبو بكر الدعوة المحمدية ؟

لا شك أن أبا بكر ﷺ كانت نفسه تعاف ما عليه قومه من همجية في مجال العقيدة ، وكان يرى في السجود للأصنام انحطاطًا لكرامة الإنسان ، وهدرًا لعقله وتفكيره وبشريته ، وما ذلك إلا لسلامة فطرته وحسن سريرته ونقاء طويته ، لذلك ما أن بعث الرسول ﷺ حتى كان أبو بكر أول من اعتنق الإسلام ؛ لأنه وجد فيه ضالته المنشودة وبغيته التي يبحث عنها ، يقول النبي ﷺ : « **ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم - أي تلعثم - حين ذكرته له ، وما تردد فيه** » (١) .

* * *

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٩) .

من أسلم على يديه ؟

لقد كان لأخلاق أبي بكر وسلوكه وصدقه وأمانته أثر كبير في جذب الناس إليه ، فلم يكد جمع من كبار رجالات قريش يسمع بأن أبا بكر اعتنق الإسلام حتى هرعوا إلى تلبية دعوته لهم ؛ لأن دينًا يجيء به محمد ويؤمن به أبو بكر لهو دين جدير بأن يتبع ، يروي ابن هشام : « فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد اللّه ، فجاء بهم إلى رسول اللّه ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا » (١) .

وهكذا كان لأبي بكر أكبر الفضل والأثر في إسلام طائفة من كبار الصحابة الذين كان لهم أثر كبير في نصرة الدعوة .

ونود أن نشير إلى أننا لا نترجم لأبي بكر ولا ندرس حياته تفصيلًا ، فقد كتبت في ذلك أسفار ضخمة ، ولا يزال المجال واسعًا لكتابة أسفار أضخم ، وأغلب الظن أنه ليس في وسع إنسان أن يوفي أبا بكر حقه ويعرف عظمته حق المعرفة ، ولكن حسبنا أن نشير إلى مواقف لأبي بكر يكفي الواحد منها للدلالة على ما تنطوي عليه شخصية

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٩) .

الصديق من العظمة والقوة والإيمان الراسخ بالله ورسوله .

وهدفنا من ذلك أن نثبت أن أبا بكر ﷺ كان الرجل الأول بين صحابة محمد ﷺ سواء في حياته وبعد مماته .

* * *

موقف أبي بكر من إسراء النبي ﷺ

عندما أسرى اللَّه ، سبحانه ، بعبده محمدًا من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السموات العلى ، ليريه من آياته الكبرى ، ورجع محمد بعد رحلته إلى مكة ، وأخذ يحدث الناس بذلك - سخر منه المشركون وارتاب طائفة من المسلمين ؛ لأنهم استبعدوا أن يذهب محمد إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة واحدة ، وهم يعلمون أن الرحلة تستغرق شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا ، وذهبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه يحدثونه بما سمعوا عن صاحبه فيقول لهم : « واللَّه لئن كان قاله لقد صدق فإني أصدقه في أبعد من هذا ، أصدقه في خبر السماء يأتيه في ساعة من ليل أو نهار » .

وهذا هو سبب تسمية أبي بكر بالصديق ، فعن أبي مويهبة مولى أبي هريرة قال : لما رجع رسول اللَّه ﷺ ليلة أسري به فكان بذي طوى ، قال : « **يا جبريل إن قومي لا يصدقوني** » ، قال : « يصدقك أبو بكر وهو الصديق »(١) ، ويقول الدكتور هيكل عن أثر تصديق أبي بكر للرسول ﷺ في حديث الإسراء : « أفخطر ببالك أن تسأل : ترى لو أن أبا بكر ارتاب كما ارتاب غيره في

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٢) .

حديث الإسراء عن الرسول ، فما عسى أن يحدث من أثر هذه الريبة في حياة الدين الناشئ ؟ وهل قدرت ما قد يؤدي إليه ذلك من تضاعف عدد المرتدين ، ومن بلبلة العقيدة في نفس غيرهم من المسلمين ؟ وهل ذكرت كيف ثبتت إجابة أبي بكر عقائد الكثيرين ، وكيف حفظ للإسلام يومئذ مكانته ؟ إن كنت قد سألت وقدرت وذكرت فلا ريب أنك لم تتردد من بعد في الحكم بأن الإيمان الصادق أقوى سلطانًا في الحياة من قوى البطش والبأس جميعًا ، وأن كلمة أبي بكر هذه كانت بعض عناية اللّٰه بدينه الحق ، وأنها نصرته وأيدته أكثر مما أيدته قوة حمزه وعمر من قبل ، وهي لذلك حقيقة بأن تجعل لأبي بكر في تاريخ الإسلام المكان الذي جعله الرسول له حين قال : « **لو كنت متخذًا من العباد خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صحبة وإخاء ، وإيمان حق ، يجمع اللّٰه بيننا عنده** » [1] .

* * *

(١) الصديق أبو بكر (ص ٣٩ ، ٤٠) .

رفقة أبي بكر للرسول في الهجرة

إن رفقة أبي بكر للرسول في الهجرة من مكة إلى المدينة ، صفحة رائعة من صفحات الإيمان القوي بالله ورسوله والتضحية في سبيلهما ؛ لأن أبا بكر كان يدرك أن قريشًا لو استطاعت أن تظفر بمحمد لما ترددت في قتله ، فذلك هو قرارها الذي اتخذته في دار الندوة ، فإذا كان أبو بكر رفيقًا لمحمد في هذه الرحلة فهو مقتول لا محالة ، ومع ذلك لم يتردد أبو بكر حين أعلمه النبي ﷺ أنه سيكون رفيقه في هجرته ، بل لعل أبا بكر لم يشعر بالغبطة في حياته ما شعر بها حين أخبره الرسول بذلك ؛ لأنه شرف وأي شرف أن يكون أبو بكر ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .

ولقد فزع أبو بكر في الغار حين رأى المشركين قريبًا منهما حتى قال : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، ولم يكن فزع أبي بكر بكل تأكيد خوفًا على نفسه ، وإنما كان خوفًا على حبيبه وصفيه ﷺ ومثل أبي بكر حقيق أن يخشى على الرسول أكثر من نفسه ، وأن يفديه بروحه ؛ لأن المكان الذي اصطفى إليه محمد أبا بكر لم يصل إليه أحد من الصحابة ، وتلك ميزة كبرى احتسبها أصحاب محمد من مؤهلات أبي بكر لأحقيته بالخلافة فيما بعد .

* * *

تضحية أبي بكر بماله في سبيل الله

إن المال صنو النفس فإذا بذله بسخاء إنسان طائعًا مختارًا في سبيل الله كان ذلك آية الآيات في قوة الإيمان والاعتماد على الله « فقد أسلم أبو بكر وعنده من ماله أربعون ألفًا ، وهي ثروة طائلة يومئذ ، أنفقها كلها في سبيل الإسلام مع ما اكتسبه من التجارة ، وكان له في خلافته بيت ينفق كل ما فيه على المسلمين ، ولما مات لم يجدوا فيه غير دينار »(١) .

يقول الدكتور هيكل : « فهو لم يقف من تأييد الدعوة عند التحدث إلى أصحابه وإقناعهم بها ، ولم يكفه أن يبذل للضعفاء والبائسين من رضا نفسه ووداعة خلقه ما يعزيهم عما كان خصوم الدعوة يرهقونهم به من أذًى أو تعذيب ، بل كان ينفق من ماله ، وكان يصطفي بهذه النفقة الضعفاء والبائسين ، ممن هداهم الله إلى الحق فأذاقهم أعداء الحق الضر وابتلوهم بألوان البأساء ، وحسبك أن تعلم أنه كان له يوم أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارته ، وأنه أقام بعد إسلامه يتجر فيجني وافر الربح فلما هاجر إلى المدينة بعد أكثر من عشر سنوات لم يكن له من ذلك كله غير خمسة الآف درهم ، أما سائر ما كان عنده وما ادخره من بعد ، فقد ذهب في سبيل الدعوة إلى الله والدعوة لدينه

(١) تاريخ التمدن الإسلامي (٤/٣٧) .

ولرسوله » [١] .

وهكذا لا تنتهي مواقف أبي بكر في التضحية بنفسه وماله في سبيل اللّه ، حتى أصبح جديرًا بقول النبي ﷺ : « **إن أمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر** » [٢] .

* * *

(١) الصديق أبو بكر (ص ٣٧) .
(٢) البخاري (١٧٦/٤) .

قدرة أبي بكر الفائقة على مواجهة الصعاب

إن أبرز صفات أبي بكر الرفق والرقة إلى أبعد الحدود ، ولكن مع ذلك فقد كانت نفسه تنطوي على قوة خارقة تظهر في حينها ؛ فقد ذهل المسلمون جميعًا لوفاة النبي ﷺ وخانتهم أعصابهم ، وطارت أفئدتهم ، ولم يثبت إلا أبو بكر فحين بلغه خبر موت النبي دخل عليّه وقبّله ، وخرج إلى الناس وهو ثابت كالجبل ، ونعى لهم النبي ﷺ ونسي المسلمون جميعا ما حفظه أبو بكر حين اختلفوا أين يدفن النبي ﷺ فمن قائل ندفنه في المسجد ، ومن قائل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض** » (١) .

ويصور الدكتور هيكل موقف أبي بكر من وفاة الرسول ﷺ فيقول : « فلو أن رجلًا من المسلمين جاز أن يبلغ به الجزع لوفاة الرسول ما بلغ من عمر لكان ذلك الرجل أبا بكر ... لكن جزعه لوفاة الرسول لم يذهله ما أذهل عمر ، وهو لم يلبث حين أيقن أن اللّه اختار رسوله إليه أن خرج إلى الناس وخطبهم ، وهذه الكلمات التي ألقاها عليهم وهذه الآية التي تلاها من القرآن لإقناعهم -

---

(١) الطبري (٣/٢١٣) .

تدل على قوة في مواجهة الحقائق تنأى بصاحبها عن أن يذهله نبأ فاجع كموت رسول اللّٰه ، ولقد اقترنت هذه القوة النفسية بصفة أخرى زادتها جلالًا ومهابةً ، هي بُعد النظر إلى المستقبل ، وهاتان الصفتان تثيران العجب من رجل كله الرفق والرقة ، وكله التقديس لمحمد ، ومحبته أكثر من حبه الحياة وما فيها ، وهذه القوة النفسية البالغة التي كانت سند أبي بكر في هذه الساعة العصيبة الرهيبة ، ساعة فجيعة المسلمين لفقد النبي ورسول اللّٰه - هي التي كانت سنده في الساعات الكثيرة العصيبة التي مرت من بعدُ به وبالمسلمين ، وهي التي وَقَت المسلمين وَوَقَت الإسلام فتنة لولاها لتعرضوا لمحن لا يعلم إلا اللّٰه مداها ، وما كان يصيبهم ويصيب النشأة الجديدة من جرائها » [١] .

فهل من عجب وهذا بعض شأن أبي بكر أن يكون أفضل الصحابة على الإطلاق وأن تجتمع كلمتهم على توليته وتقديمه ؟! .

* * *

---

(١) الصديق أبو بكر (ص٥٧ ، ٥٨) .

الآيات والأحاديث الدالة على أفضلية أبي بكر

لقد وردت آيات وأحاديث على أفضلية أبي بكر ، منها :

١ - يقول السيوطي عند قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٤٠] : أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور أبو بكر ... وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالاً فأعتقه لله فأنزل الله : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [الليل : ١] إلى قوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل : ٤] وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران :١٥٩] قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وعن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] (١) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر : ٣٣] قال علي رضي الله عنه : والذي جاء بالصدق النبي ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه (٢) . إلى غير ذلك من الآيات التي نزلت في أبي بكر خاصة أو معه غيره من الصحابة .

أما الأحاديث على أفضلية أبي بكر فكثيرة ، منها :

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٩) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٥٦/١٥) .

١ - ما يرويه البخاري من قوله ﷺ : « **إن أمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر . ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام ومودة لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر** » [1] .

٢ - روى أحمد والترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **أرحم أمتي بأمتي أبو بكر** » [2] .

* * *

---

(١) البخاري (٤/١٧٦) .

(٢) تاريخ الخلفاء (ص ١٨) .

الأحاديث التي تشير إلى ترشيح أبي بكر للخلافة

لقد قلنا في صدر هذا البحث إن النبي ﷺ لم ينص على الخلافة لأحد من الناس ، لا لأبي بكر ولا لغيره ، لكنه ﷺ أشار إشارات كثيرة وواضحة بالقول وبالفعل يفهم منها ترشيح الصديق ﷺ للخلافة ، من ذلك :

١ - أخرج الحاكم وصححه عن أنس ﷺ قال : « بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سَلْهُ : إلى من تدفع صدقاتنا بعدك ؟ فأتيته فسألته ، فقال : **إلى أبي بكر** » (١) .

٢ - أخرج الدارقطني والخطيب وابن عساكر عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **سألت الله أن يقدمك ثلاثًا فأبى علي إلا تقديم أبي بكر** » وروي عن حفصة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ : إذا أنت مرضت قدمت أبا بكر ؟ قال : « **لست أنا أقدمه ولكن الله يقدمه** » (٢) .

٣ - روى البخاري أن امرأة أتت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : أرأيت إن رجعت ولم أجدك - كأنها تريد الموت - قال ﷺ : « **إن لم تجديني فأت أبا بكر** » (٣) .

* * *

(١، ٢) تاريخ الخلفاء (ص ٢٤) . (٣) البخاري (٥/٦٢) .

تصرفات الرسول ﷺ العملية الدالة على تقديم أبي بكر

١ - أن راية الرسول ﷺ في آخر غزوة غزاها بنفسه ، وهي غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة ، كانت مع أبي بكر ﷺ ، فتسليم الراية إلى أبي بكر ﷺ في آخر معركة يقودها النبي ﷺ كأنما هو لفت للأنظار إلى الصديق ليقدروا أفضليته وأحقيته بالتقديم فلا يعدلوا عنه .

٢ - تأمير أبي بكر ﷺ على الحج في السنة التاسعة بعد عودته من تبوك لينوب عن النبي ﷺ في إمامة الناس في أداء فريضتهم والقيام بمناسكهم - يفهم منه أن النبي ﷺ قد اتجه إلى تقديم أبي بكر لتجتمع كلمتهم عليه بعده .

٣ - إمامة أبي بكر ﷺ في الصلاة بأمر النبي ﷺ وهو مريض - من أقوى الأدلة على ترشيحه للخلافة ، بل هي السبب المباشر الذي جعل الصحابة يرددون رضيه رسول الله لديننا فرضيناه لدنيانا .

فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما مرض رسول الله ﷺ المرض الذي مات فيه ، أذن بالصلاة ، فقال : « **مروا أبا بكر أن يصلي بالناس** » ، فقلت : إن أبا بكر رجل رقيق وإنه متى يقم مقامك لا يطيق ، فقال : « **مروا أبا بكر أن يصلي بالناس** » ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ،

وقال : « إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر يصلي بالناس » [١] .

* * *

(١) الطبري (١٩٧/٣) .

أبو بكر والخلافة

ولي أبو بكر ﷺ الخلافة في يوم وفاة الرسول ﷺ وهو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، وتوفي ﷺ في جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة .

روى الطبري : « قالوا : توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه »[1] ، وإذن تكون مدة خلافته ﷺ نحوًا من سنتين وثلاثة شهور .

وفي هذه المدة الوجيزة في عمر الدولة أنجز أبو بكر من جلائل الأعمال ما قل أن ينجزه غيره في عشرات السنين ، فقد تولى والجزيرة العربية تموج بالاضطرابات وتغلي كالبركان الثائر ؛ فمن مانح للزكاة هنا ، ومن متنبئ هناك ، ومن مرتد هنالك . وتوفي ﷺ والجيوش الإسلامية تتابع انتصارها وتدك صروح الكفر في فارس والشام ، فبين تقلده زمام الأمور ومفارقته للحياة حدث ما يشبه المعجزة لصيانة الدين وإرساء قواعد الدولة ، وسنكتفي من ذكر هذه الأعمال الجليلة بإشارة سريعة إلى مواقف لأبي بكر ، تلقى ضوءًا على مظاهر عبقريته وجدارته بالخلافة ، كموقفه من بعث أسامة ، وموقفه من المرتدين ومانعي الزكاة ، وموقفه من جمع القرآن الذي يعد أجلَّ أعماله وأروعها .

(١) الطبري (٤١٩/٣) .

أبو بكر وبعث أسامة

لقد تكلمنا في الفصل الأول من هذا البحث عن بعث أسامة ، وبينا أن البعث قد تأخر عن السير بسبب مرض النبي ﷺ ووفاته ، والآن وقد أصبح أبو بكر خليفة فماذا هو صانع ؟

لقد كانت بعثة أسامة أول مشكلة واجهت الصديق ﷺ واختلفت وجهة نظره مع وجهة نظر مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد ذهب فريق منهم إلى تأجيل بعث أسامة ، وحجتهم في ذلك أن الخطر محدق بالمدينة ، فليس من الحكمة أن يغادرها هذا الجيش الكبير ، فربما هاجمها المتحفزون والثائرون ، فيكون وجود هذا الجيش لازمًا للدفاع عنها .

ولكن أبا بكر ﷺ وقف معارضًا هذا الرأي وأصر بشكل حاسم على إتمام هذا البعث ، ولو ظل في المدينة وحده أو تخطفته السباع . روى الطبري عن هشام بن عروة عن أبيه قال : « لما بويع أبو بكر ﷺ ... قال ليتم بعث أسامة .. وقد ارتدت العرب .. ونجم النفاق واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ ، وقلتهم وكثرة عدوهم ، فقال له الناس : إن هؤلاء جل المسلمين يقصدون جيش أسامة والعرب على ما ترى قد

انتقضت بك ، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين ، فقال أبو بكر : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته » (١) .

إن سياسة أبي بكر ﷺ في خلافته الوجيزة لخصها في جملتين في غاية الإيجاز : « وإنما أنا متبع ولست بمبتدع » (٢) .

فقد كان يعتقد أن النجاح لن يفارقه ما تمثل خطى النبي ﷺ ، وسار على طريقته ، وكأني به في هذا الموقف يتمثل موقف النبي ﷺ في أول الدعوة حينما قال : « **والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه** » .

وصمم أبو بكر على إنفاذ الجيش وودع القائد ووصاه ، وسار الجيش إلى وجهته ، وغزا ، وحقق انتصارات رائعة وقفل راجعًا محملًا بالغنائم ، فماذا كانت النتيجة ؟ أكان ذهاب هذا الجيش إلى وجهته التي عينها الرسول ﷺ أنفع للدين والدولة وحماية العاصمة أم بقاؤه في المدينة ، إن أبا بكر ﷺ كان بعيد النظر جدًّا في موقفه هذا ، وظهرت فيه صفة من أبرز صفات القيادة ، وهي القدرة على اتخاذ القرار السليم ، والقدرة على تنفيذه ، وكان إنفاذ الجيش أنفع آلاف المرات للدين والدولة من بقائه إلى جانب الخليفة يحرسه ،

(١) الطبري (٣/٢٢٥) . (٢) الطبري (٣/٢٢٤) .

وهاك حكم بعض المؤرخين على أبي بكر وتصميمه على إنفاذ هذا الجيش ، يقول العقاد : « أفكان المؤرخون المحدثون على صواب في أمر هذه البعثة حين قالوا إنها من النوافل بعد مقتل القاتل لزيد أبي أسامة ، إنهم لعلى خطأ في كل تقدير قدروه ... لأن مقتل قائد في معركة ليس بالهزيمة الفردية التي يعاقب عليها القاتل وحده ، وإنما المسألة هنا مسألة الجيش كله ، وهيبة الأمة التي أرسلت ذلك الجيش ... وفي هذه الغزوة بعينها ماذا كان يحدث لو أن قبائل غسان وقضاعة استضعفت شأن المسلمين وفي أيديها الطريق بين البلاد العربية وبلاد الروم ، كل شيء جائز أن يكون ، وأوله إغراء الروم بالهجوم ولهم عون من تلك القبائل ومن يجتمع عليها .

ولقد أدرك أناس في عصر أبي بكر صواب الرأي في إنفاذ تلك البعثة بعد إنفاذها وعودتها ، فشاع في الجزيرة خبرها ، وروى مؤرخو تلك الفترة أنها كانت لا تمر بقبيل يريد الارتداد إلا تخوفوا وسكنوا وقالوا فيما بينهم : لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء فإذا كان بقاء أسامة بالمدينة جائزًا لدفع خطر ، فإرساله كذلك جائز لدفع خطر مثله ، وفازت الدولة بين هذا وذلك بدرس الطاعة وهو يومئذ ألزم الدروس » [١] .

* * *

---

(١) عبقرية الصديق (ص ١٢٨) .

موقف أبي بكر من مانعي الزكاة

ليس من هدفنا الكلام على حرب مانعي الزكاة والمرتدين بالتفصيل ، ولكن نريد أن نشير فقط إلى مواقف الصديق ﷺ التي دلت على أنه كان رجل الساعة في ذلك الوقت ، ولو أن الخلافة أخطأته لجاز أن يتغير سير التاريخ الإسلامي كله ، كانت المشكلة الثانية التي واجهت الصديق ﷺ بعد إنفاذ بعث أسامة هي مشكلة القبائل التي تمردت ورفضت إعطاء الزكاة ، وفي مقدمتها قبائل عبس وذبيان ، واختلفت وجهة نظر الصحابة ، هنا كما حدث في بعث أسامة ، ففريق من الصحابة وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رأى مهادنة هذه القبائل ؛ لأن الجيش غائب عن المدينة وربما لم يكن للمسلمين قِبَل بحرب هذه القبائل فتحدث كارثة ، وكان موقف أبي بكر ﷺ من هذه المشكلة يتلخص في قوله : « واللَّه لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول اللَّه لقاتلتهم عليها بالسيف » (١) .

وكان أبو بكر على صواب وكان موفقًا للغاية ، فماذا يمكن أن يحدث لو أن أبا بكر وافق على رأي عمر في عدم قتال مانعي الزكاة ، كان من الجائز أن يغري هذا الموقف قبائل كثيرة أن تحذو حذو مانعي الزكاة فترفض إعطاءها

---

(١) الطبري (٣/٢٤٤) .

وربما تطور الأمر إلى امتناع بعض القبائل عن أداء الصلاة أو غيرها من أركان الدين ، فما دام الخليفة أباح الامتناع عن أداء ركن من أركان الدين فقد يبيح الامتناع عن ركن آخر ، وفي هذا هدم للدين الناشئ من أساسه ، ولعل موقف أبي بكر من هذه القضية يذكرنا بما دار بين رسول الله ﷺ ووفد ثقيف حين أقبلوا من الطائف يعلنون استعدادهم للإسلام ويطلبون إليه أن يعفيهم من الصلاة ، فقد أبى النبي أن يجيبهم إلى ما طلبوا من ذلك ، وقال : « **لا خير في دين لا صلاة فيه** » ولعل أبا بكر قصد إلى مثل ذلك حين قال : والله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة (١) .

وخلاصة موقف أبي بكر من مانعي الزكاة أن عناية الله هي التي وجهته أن يقف هذا الموقف الصلب ، ولعل وجه العجب في هذا أن أبا بكر ذلك الرجل الرقيق القلب يتخذ هذا الموقف المتشدد حين يهادن عمرُ المعروف بشدته ، ولكن لا عجب ؛ فأبو بكر رقيق وديع ما في ذلك شك ، ولكنه أسد هصور حين يكون المساس بركن من أركان الدين ، ولا تناقض بين الحالتين فلكل دواعيها .

* * *

---

(١) الصديق أبو بكر (ص ١١٣) .

موقف أبي بكر من المرتدين

يعتبر موقف أبي بكر في حروب الردة من أروع المواقف في التاريخ الإنساني كله ، وتمثلت فيه قوة الإيمان في الدفاع عن المبادئ مهما كلفه ذلك من جهد ، ورغم أن حروب الردة قد سفكت فيها دماء زكية طاهرة ، واستشهد فيها آلاف من خيرة الصحابة ، فإنها تعتبر مفخرة تاريخية توج بها عهد الصديق ﷺ .

فبوادر الانقضاض على الدين الجديد ظهرت في أواخر عهد النبي ﷺ ممثلة في دعوى المتنبئين ؛ كالأسود العنسي في اليمن ، ومسيلمة الكذاب في اليمامة ، وطليحة في بني أسد ، وما أن توفي الرسول ﷺ حتى تناقلت الجزيرة العربية خبر وفاته ، وسرى فيها كالبرق ، فتشجع المتنبئون وكثر حولهم الأتباع ، وأصبح الدين الجديد محاطًا بالأخطار التي توشك أن تأتي عليه من أساسه ، فإما أن يقف المسلمون وقفة رجل واحد وراء خليفتهم ليدافعوا عن عقيدتهم ، وإما أن يطيح المتنبئون والمرتدون بالدين والدولة جميعًا .

« فلم تكن حروب الردة غزوات اشتبك فيها بضع مئين من جيش الخليفة وبضع مئين من خصومه ، بل كانت بعضها طاحنة اشترك فيها عشرات الألوف من هؤلاء ومن أولئك ، ثم كان لها في تاريخ الإسلام أثر حاسم . ولو أن

أبا بكر نزل على رأي من لم يريدوا هذه الحرب لساد الاضطراب بلاد العرب ، ولما قامت الإمبراطورية الإسلامية ، ولو أن جيوش أبي بكر لم تنتصر في هذه الحروب لكانت العاقبة أدهى وأمر ، ولتغير في الحالتين مجرى التاريخ ؛ لذلك لا يكون غاليًا من يقول : إن أبا بكر بموقفه من ردة العرب وبانتصاره فيها قد وجه تاريخ العالم ، وكان يد اللّٰه في بعث الحضارة الإنسانية خلقًا جديدًا ، فلولا انتصار أبي بكر في حروب الردة لما بدأ غزو العراق والشام ، ولما سارت جيوش المسلمين مظفرة بفتح الإمبراطوريتين الرومية والفارسية ، لتقيم الإمبراطورية الإسلامية على أنقاضهما ، ولتحل الحضارة الإسلامية محل حضارتهما » [١] .

« ففي حروب الردة كان أبو بكر على سوائه وجلائه ، ولم يكن موقفه فيها غريبًا كما يسبق إلى الذهن للوهلة الأولى ، حيثما يخطر للذهن أنه الرجل الوديع الرقيق ، وذلك الموقف أولى المواقف بالصلابة الصارمة والبأس الشديد » [٢] .

* * *

---

(١) الصديق أبو بكر (ص ١٥ ، ١٦) .

(٢) عبقرية الصديق (ص ١٣٠) .

أبو بكر وجمع القرآن

إن جمع القرآن الكريم في المصحف من أجلِّ الأعمال التي تمت في عهد الصديق ؛ حيث حفظ للأمة دستورها وكتاب هدايتها الخالد ، ولقد تردد أبو بكر كثيرًا في هذا الأمر ؛ إذ عرضه عليه عمر حين فزع من استشهاد عدد كبير من حفاظ القرآن في حروب الردة ، وخشي أن يذهب القرآن أو بعضه ، ولكن لم يزل أبو بكر يراجع عمر وعمر يراجعه حتى هدى اللَّه أبا بكر لما هدى إليه عمر ؛ فكان جمع القرآن . روى البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ قال : أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر ﷺ : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول اللَّه ﷺ ؟

قال عمر : هذا واللَّه خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللَّه ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه فواللَّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل

عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن » [١] .

فهذه الأعمال الجليلة التي تمت في تلك المدة الوجيزة ، مَن كان لها غير أبي بكر ؟ فهي أكبر دليل وأقوى برهان على أن الرسول ﷺ كان يرعى مصلحة المسلمين ومستقبلهم حين أشار إلى ترشيح أبي بكر ، وأن المسلمين كانوا موفقين يوم اجتمعت كلمتهم على الصديق ، ووضعوا ثقتهم فيه ، وكان الصديق جديرًا بهذه الثقة ، وجديرًا بهذا المنصب الخطير ، وأحق بها وأهلها .

* * *

(١) البخاري (٦/١٥٠) ، طبعة الفجالة الجديدة .

ماذا أخذ الصديق من الخلافة ؟

لو أردنا أن نحكم على الصديق بمنطق الأخذ والعطاء لقلنا إنه أعطى للخلافة كل شيء في استطاعة البشر أن يعطيه ، وإنه لم يأخذ منها شيئًا إلا ما ادخره اللَّه له عنده ، فحسبه أن يكون مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

فقد كان ﷺ يعيش كأقل واحد من المسلمين ، ولو أراد أن يعيش عيشة الأكاسرة لفعل ، ولكنه آثر الحياة الباقية على الحياة الفانية ، فعندما تولى أراد أن يستمر في مزاولة تجارته ليكسب قوته وقوت عياله ، ولكن الصحابة أشفقوا عليه من ذلك ومنعوه ، وفرضوا له من بيت المال ما يصلح شأنه ، فقد روى حميد بن هلال قال : « لما ولي أبو بكر قال أصحاب رسول اللَّه ﷺ : اقرضوا لخليفة رسول اللَّه ﷺ ما يغنيه ، قالوا : نعم برداه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف » [١] .

هذه هي مخصصات الخليفة ﷺ التي فرضها له أصحابه في بيت المال ، وحتى هذا القدر الزهيد لم ترض نفس أبي بكر أن يفارق الدنيا دون أن يوصي بنيه أن يحصوه ويردوه

---

(١) الرياض النضرة (١/١٧٠) .

إلى بيت المال ؛ لأنه إنما عمل لله فلا يأخذ على عمله أجرًا ، بل قال : « ردوا ما عندنا من مال المسلمين ، فإني لم أصب من هذا المال شيئًا ، وإن أرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم » . واستخلص عمر ثمن هذه الأرض ورده على بيت المال تنفيذًا لأمر أبي بكر ، وجعل يقول : يرحم اللّٰه أبا بكر لقد أحب ألا يجعل لأحد بعده مقالًا [١] .

فهذا هو أبو بكر ﷺ وهذه خلافته وسياسته ، فهل مثل هذا الرجل يقال عنه إنه سعى إلى الخلافة أو تآمر عليها ؟! يأبى اللّٰه ورسوله ذلك . ويجزي اللّٰه أبا بكر عن أمة محمد جزاء الصديقين ، والشهداء ، والصالحين ..

* * *

(١) الصديق أبو بكر (ص ٣٧٥) .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، مطبعة بولاق .

٣ - صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري ، دار إحياء الكتب العربية .

٤ - تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف .

٥ - البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، المطبعة السلفية .

٦ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير الجذري ، المطبعة الأزهرية .

٧ - تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي ، المطبعة الميمنية .

٨ - صبح الأعشى : القلقشندي ، التأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٩ - مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، مطبعة لجنة البيان العربي .

١٠ - العواصم من القواصم : أبو بكر بن العربي ، المطبعة السلفية .

١١ - تاريخ اليعقوبي : ابن واضح اليعقوبي ، مطبعة بريل (ليدن) .

١٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ، المطبعة الوهبية .

١٣ - الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر ، المطبعة الشرفية .

١٤ - الطبقات الكبرى : لابن سعد ، مطبعة ليدن .

١٥ - الرياض النضرة في مناقب العشرة : محب الدين الطبري ، المطبعة الحسينية .

١٦ - الفخري في الآداب السلطانية : ابن طباطبا ، مطبعة الموسوعات .

١٧ - تاريخ الإسلام : الحافظ شمس الدين الذهبي ، مطبعة السعادة .

١٨ - تاريخ الشعوب الإسلامية : بروكلمان ، ترجمة : نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت .

١٩ - تفسير القرطبي : أبو عبد اللّٰه القرطبي ، دار الكتب المصرية .

٢٠ - تفسير البيضاوي : ناصر الدين البيضاوي ، المطبعة العثمانية المصرية .

٢١ - العثمانية : الجاحظ ، دار الكتاب العربي .

٢٢ - سيرة ابن هشام : ابن هشام ، مطبعة الحلبي .

٢٣ - منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود : أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ، المطبعة المنيرية بالأزهر .

٢٤ - النزاع والتخاصم : أحمد بن علي المقريزي ، المطبعة الإبراهيمية .

٢٥ - الخلافة : السير توماس آرنولد تعريب جمال معلى دار اليقظة العربية .

٢٦ - حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل ، مطبعة مصر .

٢٧ - الصديق أبو بكر : الدكتور محمد حسين هيكل ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة .

٢٨ - فجر الإسلام : أحمد أمين ، مطبعة الاعتماد .

٢٩ - الخلفاء الراشدون : عبد الوهاب النجار ، دار الكتاب العربي .

٣٠ - تاريخ الإسلام السياسي : الدكتور حسن إبراهيم ، مطبعة حجازي .

٣١ - ظهور الإسلام : عبد الحميد بخيت ، الأنجلو المصرية .

٣٢ - عصر الراشدين : عبد الحميد بخيت ، الأنجلو المصرية .

٣٣ - دولة القرآن : طه عبد الباقي سرور ، دار الفكر العربي .

٣٤ - السقيفة : محمد رضا المظفر ، مطبعة الزهراء ، بالنجف .

٣٥ - الحقبة المثالية في الإسلام : الدكتورين شعوط ، وزيادة ، مكتبة الجامعة الأزهرية .

٣٦ - عبقرية الصديق : عباس العقاد ، دار المعارف .

٣٧ - عبقرية عمر : عباس العقاد ، دار الهلال .

٣٨ - عبقرية الإمام : عباس العقاد ، مطبعة المعارف .

٣٩ - تاريخ التمدن الإسلامي : جورجي زيدان ، دار الهلال .

٤٠ - النظريات السياسية الإسلامية : د . ضياء الدين الريس ، الأنجلو المصرية .

* * *

الفهرس

* * *

رقم الإيداع

٢٠٠٧ / ٢٢١١٠

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 342 - 591 - 6

السيرة الذاتية للمؤلف



• هو أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف .

• وُلِدَ في ١٩٣٦/٧/١٠م .

• حصل على الإجازة العالية (الليسانس) في التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٦٦م ، وعين معيدًا بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة في نفس العام . وحصل على الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٦٨م ، وعين مدرسًا مساعدًا سنة ١٩٧٢م، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٤م . وعين مدرسًا سنة ١٩٧٤م ، ثم أستاذًا مساعدًا سنة ١٩٧٩م ، ثم أستاذًا سنة ١٩٨٤م ، ثم أستاذًا متفرغًا سنة ٢٠٠١م وحتى الآن .

• له الكثير من المؤلفات ؛ منها : تاريخ الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة - العالم الإسلامي في العصر الأموي - وغيرها .

وهو عضو بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، واتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، واللجنة العلمية الدائمة

لترقية الأساتذة في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، ولجنة ترقية الأساتذة بجامعتي الملك عبد العزيز بجدة وأم القرى بمكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية . واشترك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية داخل مصر وخارجها . وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه .

* * *